سورة المؤمنون

مكية

وآياتها مائة وثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

شـــرح الكلمـــات :

قد أفلح المؤمنون : أي فاز قطعاً بالنجاة من النار ودخول الجنة المؤمنون.

في صلاتهم خاشعون : أي ساكنون متطامنون لايتلفتون بعين ولا قلب وهم بين يدي ربهم.

عن اللغو معرضون : اللغو كل ما لا رِضىً فيه لله من قول وعمل وتفكير، معرضون أي منصرفون عنه.

للزكاة فاعلون : أي مؤدون.

لفروجهم حافظون أي صائنون لها عن النظر إليها لايكشفونها وعن إتيان الفاحشة.

أو ما ملكت أيمانهم : من الجواري والسَّراري إن وجدن.

فمن ابتغى وراء ذلك	: أي طلب ما دون زوجته وجاريته المملوكة شرعياً.
فأولئك هم العادون	: أي الظالمون المعتدون على حدود الشرع.
راعون	: أي حافظون لأماناتهم وعهودهم.
الفردوس[1]	: أعلى درجة في الجنة في أعلى جنة.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[2] يخبر تعالى وهو الصادق الوعد بفلاح المؤمنين وقد بين تعالى في آية آل عمران معنى الفلاح وهو الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة ووصف هؤلاء المؤمنين المفلحين بصفات من جمعها متصفاً بها فقد ثبت له الفلاح وأصبح من الوارثين الذين يرثون الفردوس يخلدون فيها وتلك الصفات هي:

(١) الخشوع في الصلاة بأن يسكن فيها المصلي فلا يلتفت فيها برأسه ولا بطرفه ولا بقلبه مع رقة قلب ودموع عين وهذه أكمل حالات الخشوع في الصلاة، ودونها أن يطمئن ولا يتلفت برأسه ولا بعينه و لا بقلبه في أكثرها. هذه الصفة تضمنها قوله تعالى: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾[3].

(٢) إعراضهم عن اللغو وهو كل قول وعمل وفكر لم يكن فيه لله تعالى إذن به ولا رضى فيه ومعنى إعراضهم عنه: إنصرافهم عنه وعدم التفاتهم إليه، وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾.

(٣) فعلهم الزكاة أي أداؤهم لفريضة الزكاة الواجبة من أموالهم الناطقة كالمواشي والصامتة كالنقدين والحبوب والثمار، وفعلهم لكل مايزكي النفس من الصالحات وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾.

(٤) حفظ فروجهم من كشفها ومن وطء غير الزوج أو الجارية المملوكة بوجه شرعي وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ في إتيان أزواجهم وما ملكت أيمانهم، ولكن اللوم

---

(١) أخرج مسلم أن النبي ﷺ قال: (فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة).

(٢) روى أحمد والترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب قوله: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي نسمع عند وجهه كدوي النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال: لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة: (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر.

(٣) كان السلف الصالح إذا قام أحدهم في صلاته يهاب الرحمن أن يمدّ بصره إلى شيء وأن يحدث نفسه بشيء من الدنيا، وأبصر النبي ﷺ رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال: (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه) والجمهور على أن الخشوع في الصلاة أحد فرائضها.

والعقوبة على من طلب هذا المطلب من غير زوجه وجاريته ﴿فأولئك هم العادون﴾ أي الظالمون المعتدون حيث تجاوزوا ما أحل الله لهم إلى ماحرم عليهم.

(٥) مراعاة الأمانات والعهود بمعنى محافظتهم على ما ائتمنوا عليه من قول أو عمل ومن ذلك سائر التكاليف الشرعية حتى الغسل من الجنابة فإنه من الأمانة وعلى عهودهم وسائر عقودهم الخاصة والعامة فلا خيانة ولا نكث ولا خُلْف وقد تضمن هذا قوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ أي حافظون.

(٦) المحافظة على الصلوات الخمس بأدائها في أوقاتها المحددة لها فلا يقدمونها ولا يؤخرونها مع المحافظة على شروطها من طهارة الخبث وطهارة الحدث وإتمام ركوعها وسجودها واستكمال أكثر سننها وآدابها وقد تضمن هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾.

فهذه ست صفات إجمالاً وسبع صفات تفصيلاً فمن اتصف بها كمل إيمانه وصدق عليه اسم المؤمن وكان من المفلحين الوارثين للفردوس الأعلى جعلنا الله تعالى منهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب الخشوع في الصلاة.

٢ - تحريم نكاح المتعة لأن المتمتع بها ليست زوجة لأنها لا ترث ولا تورث بخلاف الزوجة فإنها لها الربع والثمن، ولزوجها النصف والربع، لأن نكاح المتعة هو النكاح إلى أجل معين قد يكون شهراً أو أكثر أو أقل.

٣ - تحريم العادة السريّة وهي نكاح اليد وسحاق المرأة لأن ذلك ليس بنكاح زوجة ولا جارية مملوكة.

٤ - وجوب أداء الزكاة ووجوب حفظ الأمانات ووجوب الوفاء بالعهود ووجوب المحافظة على الصلوات.

٥ - تقرير حكم التوارث بين أهل الجنة وأهل النار فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة اللهم اجعلنا من الوارثين الذين يرثون الفردوس.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

شــرح الكلمـات :

من سلالة : السلالة ما يستل من الشيء والمراد بها هنا ما استل من الطين لخلق آدم .

نطفة في قرار مكين : النطفة قطرة الماء أي المني الذي يفرزه الفحل ، والقرار المكين الرحم المصون .

العلقة : الدم المتجمد الذي يعلق بالإصبع لو حاول أحد أن يرفعه بأصبعه كمح البيض[1] .

والمضغة : قطعة لحم قدر ما يمضغ الآكل .

خلقاً آخر : أي غير تلك المضغة إذ بعد نفخ الروح فيها صارت إنساناً .

أحسن الخالقين : أي الصانعين فالله يصنع والناس يصنعون والله أحسن الصانعين .

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن خلقه الإنسان آدم وذريته وفي ذلك تتجلى مظاهر قدرته وعلمه وحكمته والتي أوجبت عبادته وطاعته ومحبته وتعظيمه وتقديره فقال : ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾[2] يعني آدم عليه السلام ﴿من سلالة من طين﴾ أي من خلاصة طين جمعه فأصبح كالحمإ المسنون فاستل منه خلاصته ومنها خلق آدم ونفخ فيه من روحه فكان بشراً سوياً ولله الحمد والمنة

---

(١) هذه الجملة معطوفة على جملة : (قد أفلح) فهي من عطف جملة ابتدائية على مثلها : وهي كعطف قصة على أخرى ، وهذا شروع في الاستدلال على التوحيد والبعث والجزاء بمظاهر القدرة والعلم والحكمة ، وهي مقتضية لعقيدة كل من التوحيد والبعث الآخر حيث أنكرهما وكذّب بهما المشركون .

(٢) جائز أن يكون المراد بالإنسان آدم ، وأن يكون أحد ذريته إذ السلالة : الشيء المستل أي : المنتزع من غيره فالطينة مستلة من مادة الطين .

والمنيّ مستل كذلك من مادة ما يفرزه جهاز الهضم من الغذاء حين يصير دماً ، وهذه السلالة مخرجة من الطين لأنها من الأغذية ، والأغذية أصلها من الأرض وقوله تعالى : (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) هذا طور آخر للخلق وهو طور اختلاط السلالتين في الرحم ، وسميت النطفة نطفة : لأنها تنطف أي : تقطر في الرحم في قناة معروفة وهي القرار المكين .

قولـه: ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ أي ثم جعلنا الإنسان الذي هو ولد آدم نطفة من صُلْب آدم ﴿في قرار مكين﴾ هو رحم حواء ﴿ثم خلقنا النطفة﴾ المنحدرة من صلب ادم ﴿علقة﴾ أي قطعة دم جامدة تعلق بالإصبع لو حاول الإنسان أن يرفعها بإصبعه، ﴿ فخلقنا العلقة مضغة﴾ وهي قطعة لحم قدر ما يمضغ الآكل، ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام[1] لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ أي إنساناً آخر غير آدم الأب، وهكذا خلق الله عز وجل آدم وذريته، ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾. وقد يصدق هذا على كون الإنسان هو خلاصة عناصر شتى استحالت إلى نطفة الفحل ثم استحالت إلى علقة فمضغة فنفخ فيها الروح فصارت إنساناً آخر بعد أن كانت جماداً لا روح فيها وقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ فأثنى الله تعالى على نفسه بما هو أهله أي تعاظم أحسن الصانعين، إذ لا خالق إلا هو ويطلق لفظ الخلق على الصناعة فحسن التعبير بلفظ أحسن الخالقين.

وقوله تعالى: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾ أي بعد خلقنا لكم تعيشون المدة التي حددناها لكم ثم تموتون، ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ أحياء للحساب والجزاء لتحيوا حياة أبدية لايعقبها موت ولا فناء ولا بلاء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته.

٢ - بيان خلق الإنسان والأطوار التي يمر بها.

٣ - بيان مآل الإنسان بعد خلقه.

٤ - تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها الملاحدة والمشركون.

---

(١) وقد أثبت علم الأجنة والتشريح أن النطفة في طورها الثاني تعلق بجدار الرحم طيلة طورها الثاني فهي بمعنى عالقة ولا منافاة بين كونها علقة وعالقة.

(٢) في الحديث الصحيح: (إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن امه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح. .) الحديث فإذا نفخ فيه الروح تهيأ للحياة والنماء وإليه الإشارة بقوله تعالى: (ثم أنشأناه خلقاً آخر) وروي أن يهود يزعمون أن العزل هو الموؤدة الصغرى، وأن عليًا رد هذا وقال: لا تكون موؤودة حتى تمر عليها التارات السبع أي: الأطوار التي في هذه الآية.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

سبع طرائق : أي سبع سموات كل سماء يقال لها طريقة لأن بعضها مطروق فوق بعض.

ماء بقدر : أي بمقدار معين لايزيد ولا ينقص.

من طور سيناء : جبل يقال له جبل طور سيناء.

تنبت بالدهن : أي تنبت بثمر فيه الدهن وهو الزيت.

وصبغ للآكلين : أي يغمس الآكل فيه اللقمة ويأكلها.

في الأنعام لعبرة : الأنعام الإبل والبقر والغنم والعبرة فيها تحصل لمن تأمل خلقها ومنافعها.

مما في بطونها : أي من اللبن.

منافع كثيرة : كالوبر والصوف واللبن والركوب.

ومنها تأكلون : أي من لحومها.

تحملون : أي تركبون الإبل في البر وتركبون السفن في البحر.

معنى الآيات :

مازال السياق في ذكر نعمه[1] تعالى على الإنسان لعل هذا الإنسان يذكر فيشكر فقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق[2]﴾ أي سموات سماء فوق سماء أي طريقة فوق طريقة وطبقاً فوق طبق وقوله تعالى: ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ أي ولم نكن غافلين عن خلقنا وبذلك انتظم الكون والحياة، وإلا لخرب كل شيء وفسد وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدر﴾ هو ماء المطر أي بكميات على قدر الحاجة وقوله ﴿ فأسكناه في الأرض[3] وإنا على ذهاب به لقادرون ● فأنشأنا لكم به جنات﴾ أي أوجدنا لكم به بساتين من نخيل وأعناب ﴿لكم فيها﴾ أي في تلك البساتين ﴿فواكه[4] كثيرة، ومنها تأكلون﴾ أي ومن تلك الفواكه تأكلون وذكر النخيل والعنب دون غيرهما لوجودهما بين العرب فهم يعرفونهما أكثر من غيرهما فالنخيل بالمدينة والعنب بالطائف.

وقوله: ﴿وشجرة[5] تخرج من طور سيناء﴾ أي وأنبت لكم به شجرة الزيتون وهي ﴿تنبت بالدهن[6] وصبغ للآكلين﴾ فبزيتها يدهن ويؤتدم فتصبغ اللقمة به وتؤكل. وقوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ فتأملوها في خلقها وحياتها ومنافعها تعبرون بها إلى الإيمان والتوحيد والطاعة. وقوله: ﴿نسقيكم[7] مما في بطونها﴾ من ألبان تخرج من بين فرث ودم، وقوله: ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ كصوفها ووبرها ولبنها وأكل لحومها. وقوله: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ وعلى بعضها كالإبل تحملون في البر وعلى السفن في البحر. أفلا تشكرون لله هذه النعم فتذكروه وتشكروه أليست هذه النعم موجبة لشكر المنعم بها فيُعبد ويوحد في عبادته؟.

---

(١) وفي ذكر أدلة التوحيد إذ تقدم الاستدلال على التوحيد بخلق الإنسان وهذا استدلال بخلق العدالة العلوية.

(٢) الطرائق: جمع طريقة، وهي اسم للطريق تذكر وتؤنث فهل المراد بها هنا طرق الملائكة أو طرق سير الكواكب وهو سمتها وما تجري فيه أو هي السبع السموات، ومعنى طرائق: أن بعضها فوق بعض من قولهم طارق بين ثوبين جعل أحدهما فوق الثاني، ويكون المعنى طباقا وهذا هو الراجح. والله أعلم.

(٣) (أسكناه في الأرض) منه ما هو ظاهر كماء الأودية، والأنهار، ومنه ما هو باطن، وهو المياه الجوفية، وإنّ الله تعالى على ذهابه من ظاهر الأرض كباطنها قدير، ويومها تهلك البشرية، وهذه الآية كقوله: (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين).

(٤) جمع فاكهة وهي: ما يؤكل تفكّهاً بآكله أي: تلذّذا بطعمه من غير قصد القوت، وما يؤكل لأجل الطعام يقال له: طعام ولا يقال له فاكهة.

(٥) وشجرة: معطوفة على جنات أي: وأخرجنا لكم به شجرة.

(٦) الباء في (بالدهن) للمصاحبة نحو: خرج زيد بسلامة أي: مصحوباً بسلامة.

(٧) قرىء (نسقيكم) بضم النون من أسقاه، وبفتحها من سقاه كذا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان قدرة الله تعالى وعظمته في خلق السموات طرائق وعدم غفلته عن سائر خلقه فسار كل شيء لما خلق له فثبت الكون وانتظمت الحياة.

٢ - بيان إفضال الله تعالى في إنزال الماء بقدر وإسكانه في الأرض وعدم إذهابه مما يوجب الشكر لله تعالى على عباده.

٣ - بيان منافع الزيت حيث[1] هو للدهن والائتدام والإستصباح.

٤ - فضل الله على العباد في خلق الأنعام والسفن للانتفاع بالأنعام في جوانب كثيرة منها، وفي السفن للركوب عليها وحمل السلع والبضائع من إقليم إلى إقليم.

٥ - وجوب شكر الله تعالى على انعامه وذلك بالإيمان به وعبادته وتوحيده فيها.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

اعبدوا الله : أي وحدوه بالعبادة إذ ليس لكم من إله غيره.

أفلا تتقون : أي أتعبدون معه غيره فلا تخافون غضبه وعقابه.

الملأ : أي أعيان البلاد وكبراء القوم.

(١) في الآية إشارة إلى أن شجر الزيتون أول ما وجد على الأرض وُجد بطور سيناء ثم تناقله الناس من إقليم إلى آخر، فقوله (تخرج من طور سيناء) إعلام بأول منبت لها.

ما هذا إلا بشر مثلكم : أي مانوح إلا بشر مثلكم فكيف تطيعونه بقبول مايدعوكم إليه.

أن يتفضل عليكم : أي يسودكم ويصبح آمراً ناهياً بينكم.

ولو شاء الله لأنزل ملائكة : أي لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلا.

رجل به جنة : أي مصاب بمس من جنون.

فتربصوا به حتى حين : أي فلا تسمعوا له ولا تطيعوه وانتظروا به هلاكه أو شفاءه.

معنى الآيات :

هذا السياق بداية عدة قصص ذكرت على إثر قصة بدأ خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام فقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾[١] أي قبلك يارسولنا فكذبوه. كما كذبك قومك وإليك قصته إذ قال ياقوم اعبدوا الله أي وحدوه في العبادة، ولا تعبدوا معه غيره ﴿مالكم من إله غيره﴾[٢] أي إذ ليس لكم من إله غيره يتسحق عبادتكم. وقوله: ﴿أفلا تتقون﴾ أي أتعبدون معه غيره أفلا تخافون غضبه عليكم ثم عقابه لكم؟.

فأجابه قومه المشركون بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي فرد عليه قوله أشرافهم وأهل الحل والعقد فيهم من أغنياء وأعيان ممن كفروا من قومه ﴿ماهذا﴾ أي نوح ﴿إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي[٣] يسود ويشرف فادعى أنه رسول الله إليكم. ﴿ولو شاء الله﴾ أي أن لا نعبد معه سواه ﴿لأنزل ملائكة﴾ تخبرنا بذلك ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أي بالذي جاء به نوح ودعا إليه من ترك عبادة آلهتنا ﴿في آبائنا الأولين﴾ أي لم يقل به أحد من أجدادنا السابقين ﴿إن هو إلا رجل به جنة﴾ أي ما نوح إلا رجل به مس من جنون، وإلا لما قال هذا الذي يقول من تسفيهنا وتسفيه آبائنا ﴿فتربصوا[٤] به حتى حين﴾ أي انتظروا به أجله حتى يموت، ولا تتركوا دينكم لأجله وهنا وبعد قرون طويلة بلغت ألف سنة إلا خمسين شكا نوح إلى ربه وطلب النصر منه فقال ما أخبر تعالى به عنه ﴿قال ربّ انصرني[٥] بما كذبون﴾ أي أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي وانصرني عليهم.

(١) فوائد سرد القصص كثيرة منها: تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر مما يلقى من قومه، ومنها: العظة والاعتبار بما جرى من أحداث، ومنها تقرير التوحيد وإثبات النبوة المحمدية واللام في: (ولقد أرسلنا) موطئة للقسم أي: وعزّتنا لقد أرسلنا نوحاً.

(٢) قرأ الجمهور بجرّ (إله) ورفع (غيره) وقرأ بعضهم: بجر (غيره) لأنه نعت لإله المجرور بحرف الجر الزائد ورفع (غيره) هو على المحل إذ محل (إله) الرفع وإنما منع منه حرف الجر الزائد.

(٣) قولهم: هذا ناتج عن نفسياتهم المتهالكة على حب الرئاسة والشرف الموهوم.

(٤) التربص: التوقف على عمل يراد عمله، والتريث فيه لما قد يغني عنه.

(٥) (قال ربّ انصرني) هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة جواباً لسؤال مقدّر تقديره: لما كذب قومه ماذا فعل؟ والجواب: دعا عليهم: (قال ربّ انصرني).

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - إثبات النبوة المحمدية بذكر أخبار الغيب التي لا تعلم إلا من طريق الوحي .

٢ - تقرير التوحيد بذكر دعوة الرسل أقوامهم إليه .

٣ - بيان سنة من سنن البشر وهي أن دعوة الحق أول من يردها الكبراء من أهل الكفر.

٤ - بيان كيف يرد الظالمون دعوة الحق بإتهام الدعاة بما هم براء منه كالجنون وغيره من الاتهامات كالعمالة لفلان والتملق لفلان . .

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

شــرح الكلمـات :

فأوحينا إليه أن اصنع : أي أعلمناه بطريق سريع خفي أي اصنع الفلك .

بأعيننا ووحيينا : أي بمرأى منا ومنظر، وبتعليمنا إياك صنعها .

وفار التنور : تنور الخباز فار منه الماء آية بداية الطوفان .

فاسلك فيها : أي أدخل في السفينة .

وأهلك : أولادك ونساءك .

ولاتخاطبنى في الذين ظلموا : أي لا تكلمني في شأن الظالمين فإني حكمت بإغراقهم .

وقل رب : أي وادعني قائلاً يارب أنزلني منزلاً مباركاً من الأرض .

إن في ذلك لآيات : أى لدلائل وعبر.

وإن كنا لمبتلين : أي لمختبرين.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه فقد جاء في الآيات السابقة أن نوحاً عليه السلام دعا ربه مستنصراً إياه لينصره على قومه الذين كذبوه قائلاً: ﴿رب انصرني[1] بما كذبون﴾ فاستجاب الله تعالى دعاءه فأوحى إليه أي أعلمه بطريق الوحي الخاص ﴿أن اصنع الفلك﴾ أي السفينة ﴿بأعيننا ووحينا﴾ أي بمرأى منا ومنظر وبتعليمنا إياك وجعل له علامة على بداية هلاك القوم أن يفور التنور تنور طبخ الخبز بالماء وأمره إذا راى تلك العلامة أن يدخل في السفينة من كل زوج أي ذكر وانثى اثنين من سائر الحيوانات التي أمكنه ذلك منه وأن يركب فيها أيضاً أهله من زوجة وولد إلا من قضى الله بهلاكه ونهاه أن يكلمه في شأن الظالمين لأنهم مغرقون قطعاً. هذا ماتضمنته الآية الأولى (٢٧) ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا﴾ أي بإهلاك الظالمين المشركين ﴿وفار التنور، فاسلك فيها﴾ أي في السفينة ﴿من كل زوجين[2] اثنين،[3] وأهلك﴾ أي أزواجك وأولادك ﴿ إلا من سبق عليه القول منهم﴾ أي بإهلاكهم كامرأته، ﴿ولا تخاطبني في الذين[4] ظلموا ﴾ أي لا تسألني عنهم فإني مهلكهم.

وقوله تعالى: ﴿فإذا استويت[5] أنت ومن معك على الفلك﴾ أي إذا ركبت واستقررْت على متن السفينة أنت ومن معك من المؤمنين فاحمدنا فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين[6] وادعنا ضارعاً إلينا قائلاً ﴿رب أنزلني منزلاً مباركاً[7]﴾ أي من الأرض، وَأَثْنِ علينا

---

(١) الباء سببية في موضع الحال من النصر المأخوذ من فعل الدعاء، وجملة (أن اصنع) جملة مفسرة لجملة: (أوحينا) لأنّ الوحي فيه معنى القول دون حروفه، فأن تفسيرية قطعاً.

(٢) الزوج: اسم لكل شيء له شيء آخر متصل به بحيث يجعله شفعا في حالة ما، والمراد به هنا: أزواج الحيوانات لحفظ نوعها حتى لا تنقرض بالطوفان.

(٣) قرأ حفص (من كلٍّ) بتنوين كل، وقرأ نافع وغيره بلا تنوين أي: بإضافة اثنين إلى كل، وتنوين كل تنوين عوض أي: من كل ما أمرتك أن تحمله في السفينة.

(٤) أي: في شأنهم فإنهم قد قضى بإهلاكهم ولا رادّ لقضائه تعالى.

(٥) استويت: أي علوت فوقها واستقررت فيها، وحرف الجر (على) مؤذن بالاستقرار والتمكن منه.

(٦) الظالمين: أي المشركين، لأنّ الظلم هو الشرك، والتنجية: الإنجاء من شرهم وأذاهم وشركهم وكفرهم.

(٧) المنزل بضم الميم: وفتح الزاي: مصدر الذي هو الإنزال، وبفتح الميم وكسر الزاي هو مكان النزول أي: أنزلني موضعاً مباركاً، والمنزل بفتح الميم والزاي معاً: مصدر نزل نزولا ومنزلاً.

خيراً فقل ﴿وأنت خير المنزلين﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي المذكور من قصة نوح لدلائل على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته ووجوب الإيمان به وتوحيده في عبادته. وقوله: ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ أي مختبرين عبادنا بالخير والشر ليرى الكافر من المؤمن، والمطيع من العاصي ويتم الجزاء حسب ذلك إظهاراً للعدالة الإلهية والرحمة الربانية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - إثبات الوحي الإلهي وتقرير النبوة المحمدية.

٢ - تقرير حادثة الطوفان المعروفة لدى المؤرخين.

٣ - بيان عاقبة الظلم وأنه هلاك الظالمين.

٤ - سنية قول بسم الله والحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون عند ركوب الدابة أو السفينة ونحوها كالسيارة والطيارة.

٥ - استحباب الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه من خير الدنيا.

٦ - بيان سر ذكر قصة نوح وهو ما فيها من العظات والعبر.

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ

---

(١) في الآية تعليم للمؤمنين إذا ركبوا أو نزلوا أن يدعوا بهذا الدعاء بل حتى إذا دخلوا بيوتهم وسلموا فقد كان عليّ رضي الله عنه إذا دخل المسجد دعا بهذا الدعاء: ربّ أنزلني . .) الخ.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

(٣٤)

شـرح الكلمات :

ثم أنشأنا من بعدهم قرْناً آخرين	: أي خلقنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم عاد قوم هود.
رسولاً منهم	: هو هود عليه السلام.
أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره	: أي قولوا لا إله إلا الله فاعبدوا الله وحده.
وأترفناهم	: أي أنعمنا عليهم بالمال وسعة العيش.
أنكم مخرجون	: أي أحياء من قبوركم بعد موتكم.
هيهات هيهات	: أي بَعُدَ بُعْداً كبيراً وقوعُ مايعدكم.
إن هي إلا حياتنا الدنيا	: أي ماهي إلا حياتنا الدنيا وليس وراءها حياة أخرى.
إن هو إلا رجل	: أي ماهو إلا رجلٌ افترى على الله كذباً أي كذب. على الله تعالى.

معنى الآيات :

هذه بداية قصة هود عليه السلام بعد قصة نوح عليه السلام أيضاً فقال تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي خلقنا وأوجدنا من بعد قوم نوح الهالكين قوماً آخرين هم[1] عاد قوم هود ﴿فأرسلنا فيهم[2] رسولاً منهم﴾ هو هود عليه السلام بأن قال لهم: ﴿أن اعبدوا الله ما

---

(١) وقيل هم قوم صالح بقرينة قوله تعالى: (فأخذتهم الصيحة) وهي التي أهلك الله تعالى بها ثمود قوم صالح إذ قال تعالى: (فأخذتهم الصيحة مصبحين) من سورة الحجر. ورشح هذا لأنّ فيها العبرة أكثر لوجود آثارهم في ديارهم شمال الحجاز إلاّ أن ذكر عاد بعد قوم نوح هو الوارد في كل قصص القرآن وبترجيح الزمان إذ عاد أوّل أمّة أهلكت بعد قوم نوح. والله أعلم.

(٢) قوله: (فيهم) بدل إليهم: لأن هوداً أو صالحاً كان المرسل من أهل البلاد وفرداً من أفرادهم فلا يحسن أن يقال: إلى إلاّ إذا كان خارجاً عنهم ليس من أفرادهم، وذلك كما في أهل سدوم، ونينوي والقبط فجاء التعبير بإلى نحو: (إلى فرعون وملئه).

لكم من إله غيره﴾ أي اعبدوا الله بطاعته وإفراده بالعبادة إذ لا يوجد لكم إله غير الله تصح عبادته إذ الخالق لكم الرازق الله وحده فغيره لايستحق العبادة بحال من الأحوال وقوله: ﴿أفلا تتقون﴾ يحثهم على الخوف من الله ويأمرهم به قبل أن تنزل بهم عقوبته.

وقوله تعالى: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا﴾ أي وقال أعيان البلاد وأشرافها من قوم هود ممن كفروا بالله ورسوله وكذبوا بالبعث والجزاء في الدار الآخرة وقد أترفهم[1] الله تعالى: بالمال وسعة الرزق فأسرفوا في الملاذ والشهوات: قالوا: وماذا قالوا؟: قالوا ما أخبرنا تعالى به عنهم بقوله: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ أي ماهذا الرسول إلا بشر مثلكم ﴿يأكل مما تأكلون منه﴾ من أنواع الطعام ﴿ويشرب مما تشربون﴾ من ألوان الشراب[2] أي فلا فرق بينكم وبينه فكيف ترضون بسيادته عليكم يأمركم وينهاكم. وقالو: ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون﴾ أي خاسرون حياتكم ومكانتكم، وقالوا ﴿أيعدكم[3] أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاماً﴾ أي فنيتم وصرتم تراباً ﴿أنكم مُخرجِون﴾ أي أحياء من قبوركم. وقالوا: ﴿هيهات هيهات[4]﴾ أي بَعُد بُعْداً كبيراً مايعدكم به هود إنهاما ﴿هي إلا حياتنا الدنيا﴾ أي ﴿نموت ونحيا[5]﴾ جيل يموت وجيل يحيا ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ وقالوا: ﴿إن هو إلا رجل افترى[6] على الله كذباً﴾ أي اختلق الكذب على الله وقال عنه أنه يبعثكم ويحاسبكم ويجزيكم بكسبكم. ﴿وقالوا ما نحن بمبعوثين﴾ هذه مقالتهم ذكرها تعالى عنهم وهي مصرحة بكفرهم وتكذيبهم وإلحادهم وما سيقوله هود عليه السلام سيأتي في الآيات بعد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل، وماتبتدىء به دعوتهم وهو لا إله إلا الله.

---

(١) أي: وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا، وصاروا يؤتون بالترفة وهي كالتحفة، يقال: أترفه المال: إذا أبطره وأفسده.

(٢) في قولهم: يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون. هذه الجملة وإن كانت تعليلا لبشرية الرسول فإنها دالة على أنهم حقاً مترفون منعّمون في ملاذ الأكل والشرب كأنّه لا هم لهم إلا ذاك، كما قيل: من أحب شيئاً أكثر من ذكره كما هي مجالس المترفين اليوم جل أحاديثهم حول الأكل والشرب ونحوهما.

(٣) الاستفهام للتعجيب، والكلام انتقال من تكذيبهم بكونه رسولاً إليهم إلى التكذيب بما أرسل به من الدين الحق.

(٤) الجمهور من النّحاة واللغويين: أن هيهات اسم فعل ماضٍ بمعنى بَعُدَ وهي مبنية على الفتح والكسر أيضاً ولا تُقال إلاّ مكررة، قال الشاعر:

فهيهات هيهات العقيق وأهله هيهات خلّ بالعقيق نواصله

(٥) إن قيل: كيف قالوا: نموت ونحيا وهم منكرون للبعث؟ قيل في الجواب: إما أن يكون مرادهم نكون نطفاً ميتة ثم نحيا، وإما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي: نحيا فيها ونموت نحو (واسجدي واركعي) وإما بموت الآباء وحياة الأبناء.

(٦) الافتراء: الكذب الذي لا شبهة فيه للمخبر، وهو الاختلاق.

٢ ـ أهل الكفر لايصدر عنهم إلا ماهو شر وباطل لفساد قلوبهم.

٣ ـ الترف يسبب كثيراً من المفاسد والشرور، ولهذا يجب أن يُحْذَرْ بالاقتصاد.

٤ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثباتها وهي ما ينكره الملاحدة هروباً من الاستقامة.

٥ ـ تُكأة عامة المشركين وهي كيف يكون الرسول رجلاً من البشر، دفعاً للحق وعدم قبوله.

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

شـــرح الكلمات:

عما قليل : أي عن قليل من الزمن.

ليصبحن نادمين : ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم.

فأخذتهم الصيحة : أي صيحة العذاب والهلاك.

فجعلناهم غثاء : كغثاء السيل وهو مايجمعه الوادي من العيدان والنبات اليابس.

فبعداً : أي هلاكاً لهم.

ثم أنشأنا : أي أوجدنا من بعدهم أهل قرون آخرين كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب.

تترا : أي يتبع بعضها بعضاً الواحدة عقب الأخرى.

وجعلناهم أحاديث : أي أهلكناهم وتركناهم قصصاً تقص وأخباراً تتناقل.

معنى الآيات :

هذا ما قال هود* عليه السلام بعد الذي ذكر تعالى من أقوال قومه الكافرين ﴿قال رب﴾ أي يارب ﴿انصرني بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم لي وردهم دعوتي وإصرارهم على الكفر بك وعبادة غيرك فأجابه الرب تبارك وتعالى بقوله: ﴿عما قليل ليصبحن نادمين﴾ أي بعد قليل من الوقت وعزتنا وجلالنا ليصبحن نادمين أي ليصيرن نادمين على كفرهم بي وإشراكهم في عبادتي وتكذيبهم إياك ولم يمض إلا قليل زمن حتى أخذتهم الصيحة صيحة الهلاك ضمن ريح صرصر في أيام نحسات فإذا هم غثاء كغثاء السيل لا حياة فيهم ولا فائدة ترجى منهم ﴿ فبعداً للقوم الظالمين﴾ أي هلاكاً للظالمين بالشرك والتكذيب والمعاصي وقوله تعالى: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين[١]﴾ أي ثم أوجدنا بعد إهلاكنا عاداً أهل قرون آخرين كقوم صالح وقوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب. وقوله تعالى: ﴿وماتسبق من أمة[٢] أجلها وما يستأخرون﴾ أي ان كل أمة حكمنا بهلاكها لا يمكنها أن تسبق أجلها أي وقتها المحدود لها فتتقدمه كما لايمكنها أن تتأخر عنه بحال.

وقوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا[٣]﴾ أي يتبع بعضها بعضاً ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً﴾ أي في الهلاك فكلما كذبت أمة رسولها ورفضت التوبة إلى الله والإنابة إليه أهلكها، وقوله تعالى ﴿وجعلناهم أحاديث[٤]﴾ أي لمن بعدهم يذكرون أحوالهم ويروون أخبارهم ﴿فبعداً﴾ أي هلاكاً منا ﴿لقوم لايؤمنون﴾ في هذا تهديد قوي لقريش المصرة على الشرك والتكذيب والعناد. وقد مضت فيهم سنة الله فأهلك المجرمين منها.

---

* دَرَج الجمهور من المفسرين على أن القصص المذكور هنا كما هو في سائر السور هو قصص هود عليه السلام، وذهب ابن جرير وبعضُ آخر إلى أنه قصة صالح لقرينة (فأخذتهم الصيحة) وقال الجمهور: يمكن أن تكون الصيحة ضمن عواصف الريح العقيم التي أرسلها تعالى على عاد قوم هود فأخذتهم فهلكوا بها والرياح عصفت بهم فمزقت وشتتت شملهم وتركتهم كأعجاز نخل خاوية ثم تفتتوا وصاروا كالغثاء وهذا الجمع أحسن.

(١) في الكلام حذف اقتضاه الإيجاز غير المخل وهو: فكذبوا أنبياءهم فأهلكناهم ثم انشأنا.

(٢) من في قوله (من أمة) صلة زيدت لتقوية النفي وتوكيده ، والأصل ماتسبق أمّة.

(٣) (تترى) على وزن فعلى كدعوى وسلوى، والألف فيه للتأنيث، وأصله وترى من الوتر، الذي هو الفرد ابدلت الواو تاء كما أبدلت في تراث من الورث، وتجاه من الوجه، ولا يقال: تترى إلا إذا كان هناك تعاقب وانقطاع، وقرىء منوناً تترىً، وهو منصوب على الحال في القراءتين معاً.

(٤) جمع أحدوثة وهو ما يتحدّث به كأعاجيب جمع أعجوبة، وهي ما يتعجّب منه، ومثل هذا التعبير: أحاديث: لا يقال في الخير وإنما يقال في الشر لا غير لقوله تعالى: (فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كلّ ممزّق) وقد يقال في الخير إذا كان مقيّداً بذكره نحو قول ابن دريد:

إنما المرء حديث بعده   فكن حديثاً حسنا لمن وعى

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ - استجابة الله دعوة المظلومين من عباده لاسيما إن كانوا عباداً صالحين.

٢ - الآجال للأفراد أو الأمم لاتتقدم ولا تتأخر سنة من سنن الله تعالى في خلقه.

٣ - تقرير حقيقة تاريخية علمية وهي أن الأمم السابقة كلها هلكت بتكذيبها وكفرها ولم ينج منها عند نزول العذاب بها إلا المؤمنون مع رسولهم.

٤ - كرامة هذه الأمة المحمدية أن الله تعالى لايهلكها هلاكاً عاماً بل تبقى بقاء الحياة تقوم بها الحجة لله تعالى على الأمم والشعوب المعاصرة لها طيلة الحياة.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

بآياتنا وسلطان مبين : الآيات هي التسع الآيات وهي الحجة والسلطان المبين.

وكانوا قوماً عالين : أي علوا أهل تلك البلاد قهراً واستبداداً وتحكماً.

وقومهما لنا عابدون : أي مطيعون ذليلون نستخدمهم فيما نشاء وكيف نشاء.

ولقد آتينا موسى الكتاب : أي التوارة.

وجعلنا ابن مريم : أي عيسى حجة وبرهاناً على وجود الله وقدرته وعلمه ووجوب توحيده.

إلى ربوة ذات قرار ومعين : إلى مكان مرتفع ذي استقرار وفيه ماء جار عذب وفواكه وخضر.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر نبذ من قصص الأولين للعظة والاعتبار، ولإقامة الحجة على مشركي قريش فقال تعالى: ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ أي بعد تلك الأمم الخالية أرسلنا موسى بن عمران وأخاه هارون بسلطان مبين أي بحجج وبراهين بينة دالة على صدق موسى ومايدعو إليه من عبادة الله وتوحيده فيها والخروج ببني إسرائيل إلى الأرض المباركة أرض الشام إلى فرعون ملك مصر يومئذ وملئه من أشراف قومه وعليتهم فاستكبروا عن قبول دعوة الحق وكانوا عالين على أهل تلك البلاد قاهرين لها مستبدين بها وقالوا رداً على دعوة موسى وهارون ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ أي خاضعون مطيعون. هكذا أعلنوا متعجبين من دعوة موسى وهارون إلى الإيمان برسالتهما فقالوا: أنؤمن لبشر من مثلنا أي كيف يكون هذا أنتبع رجلين مثلنا فنصبح نأتمر بأمرهما وننتهي بنهيهما وكيف يتم ذلك وقومهما يعنون بني إسرائيل لنا عابدون. أي خاضعون لنا ومطيعون لأمرنا ونهينا. قال تعالى: ﴿فكذبوهما﴾، فيما دعواهما إليه من الإيمان والتوحيد وإرسال بني إسرائيل معهما إلى أرض الميعاد فترتب على تكذيبهم لرسولي الله موسى وهارون هلاكهم فكانوا من المهلكين حيث أغرقهم الله أجمعين، وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى[1] الكتاب لعلهم يهتدون﴾، ويخبر تعالى أنه بعد إهلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل آتى موسى التوراة من أجل هداية بني إسرائيل عليها لأنها تحمل النور والهدى. هذه أيادي الله على خلقه وآياته فيهم فسبحانه من إله عزيز رحيم.

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم[2] وأمه﴾ أي جعل عيسى ووالدته مريم ﴿آية﴾ حيث خلق عيسى من غير أب فهي آية دالة على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته وهذه موجبة الإيمان به وعبادته وتوحيده والتوكل عليه والإنابة والتوبة إليه. وقوله تعالى: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين[3]﴾ أي أنزلنا مريم وولدها بعد اضطهاد اليهود لهما ربوة[4] عالية صالحة للإستقرار عليها بها فاكهة وماء عذب جار إكرام الله تعالى له ولوالدته فسبحان المنعم على عباده المكرم لأوليائه.

---

(١) خصّ موسى بإيتائه الكتاب دون هارون لأنّ هارون يوم إعطاء موسى الكتاب (التوراة) كان مع قومه، وموسى كان وحده في الطور للمناجاة.

(٢) أدمج أمّه في الذكر لتسفيه اليهود في قولهم في مريم بهتانا عظيما.

(٣) الربوة: المكان المرتفع من الأرض، وهي مثلثة الراء تضم وتفتح وتكسر، وهي بفلسطين أو مدينة الرملة وهي من أرض فلسطين.

(٤) المعين: هو الماء الجاري على ظهر الأرض ظاهر للعيون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير نبوة كل من موسى وأخيه هارون عليهما السلام.

٢ - التنديد بالإستكبار، وأنه علة مانعة من قبول الحق.

٣ - مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته في إرسال الرسل بالآيات وفي إهلاك المكذبين.

٤ - آية ولادة عيسى من غير أب مقررة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وبعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

شرح الكلمات :

كلوا من الطيبات : أي من الحلال.

واعلموا صالحاً : أي بأداء الفرائض وكثير من النوافل.

وإن هذه أمتكم : أي ملتكم الإسلامية.

فاتقون : أي بامتثال أمري واجتناب نهيي.

فتقطعوا أمرهم : أي اختلفوا في دينهم فأصبحوا طوائف هذه يهودية وتلك نصرانية.

في غمرتهم : أي في ضلالتهم.

نسارع لهم : أي نعجل.

بل لا يشعرون : أن ذلك استدارج منا لهم.

معنى الآيات :

بعد أن أكرم الله تعالى عيسى ووالدته بما أكرمهما به من إيوائهما إلى ربوة ذات قرار ومعين

خاطب[1] عيسى عبده ورسوله قائلاً: ﴿يا أيها الرسل كلوامن الطيبات﴾ أي الحلال فكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه إذ كانت تغزل الصوف بأجرة فكانا يأكلان من ذلك أكلامن الطيب كما أمرهما الله تعالى وقوله :﴿واعملوا صالحاً﴾ كلوا من الحلال واعملوا صالحاً بأداء الفرائض والإكثار من النوافل، وقوله: ﴿إني بما تعملون عليم﴾ فيه وعد بأن الله تعالى سيثيبهم على مايعلمون من الصالحات. وقوله: ﴿وأن[2] هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ أعلمهم أن ملتهم وهي الدين الإسلامي دين واحد فلا ينبغي الاختلاف فيه واعلمهم أيضاً أنه ربهم أي مالك أمرهم والحاكم عليهم فليبتغوه بفعل ما أمرهم به وترك مانهاهم عنه، لينجوا من عذابه ويظفروا برحمته ودخول جنته.

وقوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم[3]﴾ أي دينهم ﴿زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أي فرقوا دينهم فرقاً فذهبت كل فرقة بقطعة منه وقسموا الكتاب إلى كتب فهذه يهودية وهذه نصرانية واليهودية فرق والنصرانية فرق والإنجيل أصبح أناجيل متعددة وصارت كل جماعة فرحة بما عندها مسرورة به لا ترى الحق إلاّ فيه. . ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ وهنا أمر الله رسوله أن يتركهم في غمرة ضلالتهم إلى حين أن ينـزل بهم ما قضى به الرب تعالى على أهل الاختلاف في دينه ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾ إذ قال له في سورة الأنعام ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾ وفيه من التهديد ما فيه. وهذا الذي نعاه تعالى على تلك الأمم قد وقعت فيه أمة الإسلام فاختلفوا في دينهم مذاهب وطرقاً عديدة، وياللأسف وقد حلت بهم المحن ونزل بهم البلاء نتيجة ذلك الخلاف. وقوله: ﴿أيحسبون أنما نمدهم[4] به من مال

---

(١) اختلف في هذا الخطاب هل هو لعيسى عليه السلام نظراً لسياق الحديث أو هو لمحمد ﷺ أو هوعام لكل الرسل، أي: ما من رسول إلا وأمره بما في هذا السياق، وأمّة كل رسول تابعة له، وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في مثل هذا فلا داعي إلى الترجيح وعدمه ويشهد للعموم قوله ﷺ في الصحيح: (يا أيها الناس إنّ الله طيّب لا يقبل إلاّ طيبا، وإن الله أمر المرسلين بما أمر به المؤمنين فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك) والشاهد في قوله ﷺ (بما أمر به المرسلين).

(٢) قرىء: (وانّ) بكسر إن على القطع أي: الابتداء وعلى تقدير قول أو قلنا لهم: (إن هذه). . الخ وقرىء بفتحها، وهي قراءة الأكثرين على تقديرواعلموا (أن هذه أمتكم). . الخ.

(٣) كأن هذه الآية تنظر إلى قوله ﷺ: (ألا إن أهل الكتاب قبلكم افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة) الحديث أخرجه أبو داود ورواه الترمذي وزاد: (قالوا: ومن هي يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) وقوله: (ملة) فيه دليل على أنّ الاختلاف في الفروع غير مقصود وإنما المقصود هو ما كان في أصول الدين وقواعده.

(٤) (إنما): ما: موصولة بمعنى الذي أي: أيحسبون يا رسولنا إن الذي نعطيهم في الدنيا من مال وولد هو ثواب لهم على شركهم وكفرهم إنما هو استدراج وإملاء ليس إسراعاً في الخيرات واختلف في خبر إنّ فقيل: إنه محذوف وتقدير الكلام: إنما نسارع لهم به في الخيرات، والاستفهام في أيحسبون: إنكاري.

وبنين﴾ مع اختلافهم وانحرافهم مسارعة لهم منا في الخيرات[1] لا بل ذلك استدراج لهم ليهلكوا ولكنهم لايشعرون بذلك. لشدة غفلتهم واستيلاء غمرة الضلالة عليهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب الأكل من الحلال، ووجوب الشكر بالطاعة لله ورسوله.

٢ - الإسلام دين البشرية جمعاء ولا يحل الاختلاف فيه بل يجب التمسك به وترك ما سواه.

٣ - حرمة الاختلاف في الدين وأنه سبب الكوارث والفتن والمحن.

٤ - إذا انحرفت الأمة عن دين الله، ثم رزقت المال وسعة العيش كان ذلك استدراجاً لها، ولم يكن إكراماً من الله لها دالاً على رضى ربها عنها بل ما هو إلا فتنة ليس غير.

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

شـرح الكلمـات:

مشفقون : أي خائفون.

لايشركون : أي بعبادته أحداً.

يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة : أي خائفون أن لايقبل منهم ذلك.

أنهم إلى ربهم راجعون : أي لأنهم إلى ربهم راجعون فيحاسبهم ويسألهم ويجزيهم.

وهم لها سابقون : أي بإذن الله وفي علمه.

ولا نكلف نفساً إلاَّ وسعها : إلا طاقتها وما تقدر عليه.

ولدينا كتاب ينطق بالحق : وهو ما كتبه الكرام الكاتبون فإنه ناطق بالحق.

وهم لا يظلمون : أي بنقص حسنة من حسناتهم ولا بزيادة سيئة على سيآتهم.

---

(١) الخيرات: جمع خير وهو من الجموع النادرة مثل: سرادقات جمع سرادق.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال الذين فرقوا دينهم فذهبت كل فرقة منهم بكتاب ومذهب ولقب ونعى عليهم ذلك التفرق وأمر رسوله أن يتركهم في غمرة خلافاتهم و يدعهم إلى حين يلقون جزاءهم عاجلاً أو آجلاً: أثنى تبارك وتعالى على عباده المؤمنين من أهل الخشية، فقال وقوله الحق: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أي من عذابه خائفون من الوقوف بين يديه فهذه صفة لهم وأخرى ﴿والذين هم بآيات ربهم يومنون﴾ أي بحجج الله تعالى التي تضمنتها آياته يؤمنون أي يوقنون وثالثة: ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ أى فى ذاته ولا صفاته ولا عباداته فيعبدونه بما شرع لهم موحدينه في ذلك ورابعة: ﴿والذين[1] يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم[2] راجعون﴾. أي يؤتون[3] الزكاة وسائر الحقوق والواجبات وقلوبهم خائفة من ربهم أن يكونوا قد قصروا فيما أوجب عليهم وخائفة أن لايقبل منهم عملهم، وذلك ناجم لهم من قوة إيمانهم برجوعهم إلى ربهم ووقوفهم بين يديه ومساءلته لهم: لم قدمت؟ لم أخرت؟ وقوله تعالى: ﴿أولئك يسارعون[4] في الخيرات وهم لها سابقون﴾ في هذا بشرى لهم إذ أخبر تعالى أنهم يسارعون في الخيرات، وأنهم سبق ذلك لهم في الأزل فهنيئاً لهم. وقوله تعالى: ﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ فيه قبول عذر من بذل جهده في المسارعة في الخيرات ولم يلحق بغيره أعذره ربه فإنه لا خوف عليه مادام قد بذل جهده إذ هو تعالى ﴿لا يكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي طاقتها وما يتسع له جهده.

وقوله: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لايظلمون﴾ فيه وعدٌ لأولئك المسارعين بالخيرات بأنَّ أعمالهم مكتوبة لهم في كتاب ينطق بالحق لايخفى حسنة من حسناتهم ويستوفونها كاملة وفيه وعيد لأهل الشرك والمعاصي بأنَّ أعمالهم محصاة عليهم قد ضمها كتاب صادق وسوف يجزون بها وهم لايظلمون فلا تكتب عليهم سيئة لم يعملوها قط ولا يجزون إلاَّ بما كانوا يكسبون.

---

(١) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولائك الذين يسارعون في الخيرات).

(٢) أي: لأنهم: أو من أجل أنهم إلى ربّهم راجعون. وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبرة بما يختم به للعبد، وفي البخاري: (وإنما الأعمال بالخواتيم).

(٣) قرىء: (يأتون) من الإتيان، ولا يختلف المعنى إذ هم يأتون الأعمال الصالحة ويفعلونها، وقلوبهم خائفة. كما يعطون ما يعطون من الزكاة والنفقات وقلوبهم وجلة أو يعطون الملائكة أعمالهم التي يكتبونها وقلوبهم وجلة.

(٤) (يسارعون في الخيرات) أي: في الطاعات كي ينالوا بها أعلى الدرجات والغرفات ولم يقل يسارعون إلى الخيرات إذ هم في الخيرات لم يخرجوا من دائرتها أبداً فهم فيها يسارعون. في الآية إشارة إلى أن الصلاة في أول وقتها أفضل، وهكذا السبق في كل خير قبل الغير خير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - فضيلة الخشية والإيمان والتوحيد والتواضع والمراقبة لله تعالى.

٢ - بشرى الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى.

٣ - تقرير قاعدة رفع الحرج في الدين.

٤ - تقرير كتابة أعمال العباد وإحصاء أعمالهم ومجازاتهم العادلة.

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾

شـرح الكلمـات:

في غمرة من هذا : أي جهالة من القرآن وعمى.

ولهم أعمال من دون ذلك : أي من دون أعمال المؤمنين التي هي الخشية والإيمان بالآيات والتوحيد والمراقبة.

هم لها عاملون : أي سيعملونها لتكون سبب نهايتهم حيث يأخذهم الله تعالى بها.

إذا هم يجأرون : أي يصرخون بأعلى أصواتهم ضاجينَ مستغيثين ممّا حلَّ بهم من العذاب.

تنكصون : أي ترجعون على أعقابكم كراهة سماع القرآن.

مستكبرين به : أي بالحرم أي كانوا يقولون: لايظهر علينا فيه أحد لأنّا أهل الحرم.

سامراً تهجرون : أي تسمرون بالحرم ليلا هاجرين الحق وسماعه على قراءة فتح التاء وعلى قراءة ضمها تهجرون أي تقولوا الهجر من القول كالفحش والقبح.

رسولهم : أي محمداً ﷺ.

به جنّة : أي مجنون.

معنى الآيات :

﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ أي ليس الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون أنّا نمدهم بالمال مسارعة منا لهم في الخيرات لرضانا عنهم لا بل إن قلوبهم في غمرة وعمى من القرآن، ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾[1] أي دون عمل المؤمنين. ﴿هم لها عاملون﴾ حتى تنتهي بمترفيهم إلى هلاكهم ودمارهم وقوله تعالى: ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون﴾ أي استمرت الأعمال الشركية الإجرامية حتى أخذ الله تعالى مترفيهم في بدر بعذاب القتل والأسر ﴿إذا هم يجأرون﴾[2] يضجون بالصراخ مستغيثين، والله تعالى يقول لهم: ﴿لاتجأروا اليوم إنكم منا لاتنصرون﴾ وذكر تعالى لهم ما كانوا عليه من التكذيب والاستكبار وقول الهجر موبخاً إياهم ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾[3] هروباً من سماعها حال كونكم ﴿مستكبرين به﴾ أي بالحرم زاعمين أنكم أهل الحرم، وأن أحداً لا يظهر عليكم فيه لأنكم أهله وقوله: ﴿سامراً[4] تهجرون﴾ أي تسمرون بالليل تهجرون بذلك سماع الحق ودعوة الحق التي تُتلى بها عليكم آيات الله. وقد قرىء

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون ذلك أي: دون الشرك من كبائر الذنوب هم عاملوها لا محالة إذ كتبت عليهم ليدخلوا بها النار، وما كان دون عمل المؤمنين قطعاً هو الشرك والمعاصي، فلا منافاة بين ما في التفسير وما روي عن ابن عباس.

(٢) الجؤار: كالخوار يقال: خار الثور يخار: إذا صاح، وجأر الرجل بالدعاء: تضرع به، قال قتادة: يصرخون بالتوبة فلا تقبل منهم، وجأروا كذلك يوم أصابهم القحط والجدب فجاعوا حتى كادوا يهلكون بدعوة الرسول ﷺ.

(٣) (تنكصون) : ترجعون وراءكم، وأصله الرجوع إلى الوراء القهقري. قال الشاعر:

زعموا أنهم على سبل النجا ةِ وإنما نكصوا على الأعقاب

(٤) سامراً) معناه سمّاراً أي: جماعة تتحدّثون بالليل، والسمر مأخوذ من السّمر الذي هو ظل القمر، ومنه سمرة اللون وكانوا يتحدثون حول الكعبة في سمرة القمر فسمي التحدّث به، وقرى (سُمّاراً) جمع سامر. يقال: جاء من السامر يريد: من القوم الذين يسمرون، وفي الحديث: كراهة النوم قبل العشاء، والحديث أي السمر بعدها، وروي أن عمر رضي الله عنه كان يضرب الناس على الحديث بعد العشاء ويقول: أسمراً أول الليل ونوماً آخره؟!!

تُهجرون بضم التاء وكسر الجيم أي تقولون أثناء سمركم في الليل الهجر من القول كالكفر وقول الفحش وما لا خير فيه من الكلام، وكانوا كذلك.

وقوله تعالى: ﴿أفلم يدبروا القول﴾[1] الذي يسمعونه من نبينا محمد ﷺ فيعرفوا أنه حق وخير وأنه فيه صلاحهم ﴿أم جاءهم﴾[2] من الدين والشرع ﴿ما لم يأت أباءهم الأولين﴾ فقدجاءت رسل ونزلت كتب وهم يعرفون ذلك. أم لم يعرفوا رسولهم محمداً ﷺ فهم له منكرون إنهم يعرفونه بصدقه وطهارته وكماله منذ نشأته وصباه إلى يوم أن دعاهم إلى الله ﴿أم يقولون به جنة﴾ أي جنون وأين الجنون من رجل ينطق بالحكمة ويعمل بها ويدعو إليها ﴿بل جاءهم بالحق وأكثرهم[3] للحق كارهون﴾، وهذا هو سرُّ إعراضهم واستكبارهم - إنه كراهيتهم للحق لطول ما ألفوا الباطل وعاشوا عليه، وهذه سنة البشر في كل زمان ومكان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - غمرة الجهل والتعصب وعمى التقليد هي سبب إعراض الناس عن الحق ومعارضتهم له.

٢ - لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب أو نزوله.

٣ - بيان الذنوب التي أخذ بها مترفو مكة ببدر وهي هروبهم من سماع القرآن ونكوصهم عند سماعه على أعقابهم حتى لا يسمعوه واستكبارهم بالحرم واعتزازهم به جهلاً وضلالا واجتماعهم في الليالي الطوال يسمرون على اللهو وقول الباطل هاجرين سماع القرآن وما يدعو إليه من هدى وخير.

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

---

(١) وقيل: القول: القرآن: وسمي قولاً لأنهم خوطبوا به، والاستفهام إنكاري يحمل التقريع والتأنيب.

(٢) (أم جاءهم) الخ.. أي: فأنكروه وأعرضوا عنه. وقيل: أم بمعنى بل الانتقالية بل جاءهم مالا عهد لآبائهم به فلذا أنكروه وتركوا التديُّن به، والفاء في: أفلم يدّبروا: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع عما سبقه، والتدبر معناه إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله النظر في دبر الأمر أي: فيما لا يظهر منه للمتأمل بادىء ذي بدء.

(٣) في قوله ﴿بل أكثرهم﴾ احتراس عرف في القرآن حتى لا ينتقض ببعض الأفراد وهو من اعجاز القرآن وبالغ كماله في البلاغة والبيان.

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

شرح الكلمات :

لو اتبع الحق أهواءهم : أي ما يهوونه ويشتهونه.

أتيناهم بذكرهم : أي بالقرآن العظيم الذي فيه ذكرهم فيه يذكرون ويُذكرون.

أم تسألهم خرجاً : أي مالاً مقابل إبلاغك لهم دعوة ربهم.

فخراج ربك خير : أي مايرزقكه الله خير وهو خير الرازقين.

إلى صراط مستقيم : أي إلى الإسلام.

عن الصراط لناكبون : أي عن الإسلام أي متنكبونه جاعلوه على منكب أي جانب عادلون عنه.

للجوا في طغيانهم يعمهون : لتمادوا في طغيانهم مصرين عليه.

فما استكانوا : أي ماذلوا ولا خضعوا.

إذا هم فيه مبلسون : أي آيسون قنطون.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقوله تعالى : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ هذا كلام مستأنف لبيان حقائق أخرى منها أن هؤلاء المشركين لو اتبع الحقُّ[1] النازل من عند الله والذي يمثله القرآن أهواءهم أي مايهوونه ويشتهونه فكان يوافقهم عليه لأدى ذلك إلى

(١) اختلف في المراد بالحق فقيل : هو الله تعالى قاله مجاهد وغيره، وقيل معناه ولو اتبع صاحب الحق، وقيل : هو مجاز أي : لو وافق الحق أهواءهم فجعل موافقته اتباعاً، وما في التفسير أظهر، وقد استظهره ابن جرير الطبري.

فساد الكون كله علويه وسفليه[1]، وذلك لأنهم أهل باطل لايرون إلا الباطل ويصبح سيرهم معاكساً للحق فيؤدي حتما إلى خراب الكون وقوله تعالى: ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي جئناهم بذكرهم الذي هو القرآن الكريم إذ به يذكرون وبه يُذكرون لأنه سبب شرفهم، وقوله: ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾، فهم لسوء حالهم وفساد قلوبهم معرضون عما به يذكرون ويذكرون[2]، وقوله تعالى: ﴿أم تسألهم خرْجاً﴾[3] أي أجراً ومالاً ﴿فخراج ربّك خير﴾ أي ثواب ربِّك الذي يثيبك به خير وهو تعالى خير الرازقين وحاشا رسول الله ﷺ أن يسألهم عن التبليغ أجراً وقوله تعالى: ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾ أي إلى الإسلام طريق السعادة والكمال في الدنيا والآخرة، وقوله تعالى: ﴿وإن الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصِّراط[4] لناكبون﴾ أي علة تنكبّهم أي ابتعادهم عن الإسلام هو عدم إيمانهم بالآخرة، وهو كذلك فالقلب الذي لا يعمره الإيمان بلقاء الله والجزاء يوم القيامة صاحبه ضد كل خير ومعروف ولا يؤمل منه ذلك لعلة كفره بالآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ولو رحمناهم[5] وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ يخبر تعالى أنه لو رحم أولئك المشركين المكذبين بالآخرة، وكشف مابهم من ضر أصابهم من قحط وجدب وجوع ومرض لايشكرون الله، بل يتمادون في عتوهم وضلالهم وظلمهم يعمهون حيارى يترددون، وقوله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم[6] بالعذاب﴾ وهي سنوات الجدب و القحط بدعوة الرسول ﷺ وما أصابهم من قتل وجراحات وهزائم في بدر. وقوله: ﴿فما استكانوا[7] لربهم ومايتضرعون﴾ فما ذلوا لربهم وما دعوه ولا تضرعوا إليه بل بقوا على طغيانهم في ضلالهم ومرد هذا ظلمة النفوس الناتجة عن الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ وهو معركة بدر وما أصاب

(١) وما في الكون العلوي من الملائكة، والسفلي من الجن والإنس، وإلى هذا الإشارة بِمَنْ في قوله: (ومن فيهن).

(٢) الأولى يذكرون بفتح الياء، مبنى للفاعل، والثانية يذكرون بضم الياء مبنيٌ للمفعول.

(٣) قرىء خراجاً أيضاً والمعنى واحد، والمعنى: أتسألهم رزقاً فرزق ربك خير، وقيل: الخرج: الجعل والخراج: العطاء، والخرج: المصدر، والخراج: الاسم.

(٤) الصراط في اللغة: الطريق، وسمي الدين طريقا لأنه طريق إلى الجنة والناكب: العادل عن الشيء المعرض عنه، وهو مشتق من المنكب وهو جانب الكتف.

(٥) (ولو رحمناهم) معطوف على جملة: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) وما بينهما: اعتراض باستدلال عليهم وتنديم لهم وقطع لمعاذيرهم أي: أنهم ليسوا بحيث لو استجاب الله جؤارهم (دعاءهم) عند نزول العذاب بهم وكشفه عنهم لعادوا إلى ما كانوا فيه من الغمـرة والشرك والأعمال السيئة. وهذا كقوله: (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون).

(٦) هذا استدلال على مضمون ما في قوله: (ولو رحمناهم) الخ، و(ال) في العذاب للعهد أي: بالعذاب المذكور آنفاً في قوله: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب)

(٧) الاستكانة: مصدر بمعنى الخضوع، مشتقة من السكون، لأنّ الذي يخضع يقطع الحركة أمام من يخضع له.

المشركين من القتل ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾[1] أي آيسون من كل خير حزنون قنطون وذلك لظلمة نفوسهم بالشرك والمعاصي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ خطر اتباع الهوى وما يفضي إليه من الهلاك والخسران.

٢ ـ الصراط المستقيم الموصل إلى السعادة والكمال هو الإسلام لا غير.

٣ ـ التكذيب بيوم القيامة ومايتم فيه من حساب وجزاء هو الباعث على كل شر والمانع من كل خير.

٤ ـ من آثار ظلمة النفس نتيجة الكفر اليأس والقنوط والتمادي في الشر والفساد.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

شـرح الكلمـات:

أنشأ لكم السمع : أي خلق وأوجد لكم الأسماع والأبصار.

والأفئدة : جمع فؤاد وهو القلب.

قليلا ماتشكرون : أي ماتشكرون إلاّ قليلا.

ذراكم : أي خلقكم.

---

(١) الإبلاس: شدة اليأس من النجاة، وجائز أن يكون العذاب الذي أبلسهم عذاب القحط والمجاعة التي أصابتهم، وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة.

وإليه تحشرون : أي تجمعون إليه بعد إحيائكم وخروجكم من قبوركم.
وله اختلاف الليل والنهار : أي إليه تعالى إيجاد الليل والنهار وظلمة الليل وضياء النهار.
أفلا تعقلون : فتعرفوا أن الله هو المعبود الحق إذ هو الرب الحق.
إلا أساطير الأولين : أي ماتقولون من البعث والحياة الثانية ماهو إلا حكايات وأساطير وأخبار الأولين، والأساطير جمع أسطورة أي حكاية مسطرة مكتوبة.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في دعوة المنكرين للبعث الآخر إلى الإيمان به بعرض الأدلة العقلية عليهم لعلهم يؤمنون فقال تعالى لهم: ﴿وهو الذي أنشأ لكم[1] السمع[2] والأبصار والأفئدة﴾ أي الله الذي خلق لكم أسماعكم وأبصاركم وقلوبكم قادر على إحيائكم بعد موتكم وحشركم إليه تعالى ليحاسبكم ويجزيكم، وقوله: ﴿قليلاً ماتشكرون[3]﴾ يوبخهم تعالى على كفرانهم نعمه عليهم، إذ أوجد لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم يحمدوه على ذلك ولم يشكروه بالإيمان به وبطاعته. وقوله تعالى: ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض﴾ أي خلقكم في الأرض، ﴿وإليه تحشرون﴾ إذ الذي قدر على خلقكم في الأرض قادر على خلقكم في أرض أخرى بعد أن يميتكم ويحشركم أي يجمعكم إليه ليحاسبكم ويجزيكم. وقوله: ﴿وهو الذي يحيي[4] ويميت﴾ أي يحيي النطفة بجعلها مضغة لحم ثم ينفخ فيها الروح فتكون بشراً، ويميتكم بعد انقضاء آجالكم أليس هذا قادراً على إحيائكم بعد موتكم.

وقوله تعالى: ﴿وله اختلاف[5] الليل والنهار أفلا تعقلون﴾ أي ولله تعالى اختلاف الليل والنهار بإيجادهما وتعاقبهما وإدخال أحدهما في الآخر أفلا[6] تعقلون أنّ من هذه قدرته وتصاريفه في خلقه قادر على بعثكم بعد إماتتكم وقوله تعالى: ﴿بل قالوا مثل[7] ماقال الأولون﴾ أي بدل

(١) هذا الكلام الإلهي، استدلال وامتنان فقد عرّفهم بكمال قدرته وعظيم مننه.

(٢) جائز أن يكون لهم شكر قليل، وجائز أن يكون لا شكر لهم البتة، وإنما هو من باب الاحتراس كيلا ينقض الخبر. بأدنى شكر منهم.

(٣) جمع الأبصار والأفئدة باعتبار تعدد الأفراد، ووحد السمع لأنه مصدر فجرى على الأصل.

(٤) هذه بعض مظاهر القدرة الإلهية الموجبة لعبادته وحده، والموجبة لتصديقه فيما واعد به وأوعد، من نعيم الآخرة وعذابها.

(٥) (وله اختلاف الليل والنهار) هذه اللام : لام الاختصاص إذ لا قدرة لكائن سواه على اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر، والضياء والظلام، وما يجري فيهما من تصاريف الكائنات على اختلافها وتنوعها.

(٦) الاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم تعقلهم وفهمهم لدلائل التوحيد والبعث والجزاء، والفاء: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع على ما تقدم من الأدلة في السياق.

(٧) في هذا التفات من الخطاب إلى الغيبة لأنّ الكلام انتقل من التفريع إلى حكاية ضلالهم، وبل: للاضراب الإبطالي أي: أبطل كونهم يعقلون مع إثبات إنكارهم للبعث مع علّة الإنكار وهي: تقليدهم لآبائهم.

أن يؤمنوا باليوم الآخر لِما دَلّ عليه من هذه الأدلة التي لايردها عاقل ولا ينكرها عقل عادوا فقالوا قولة المنكرين من الأمم قبلهم: ﴿قالوا أءذا متنا وكنا تراباً أءنا لمبعثون﴾[1] وهو انكار صريح منهم للعبث الآخر. وقالوا أيضاً ما أخبر تعالى عنهم، وهم يعلنون تكذيبهم لله تعالى ورسوله: ﴿لقد وعدنا نحن وأباؤنا هذا من قبل[2] إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي لقد وعد هذا آباؤنا من قبل ولم يحصل ما هذا الذي يقال إلا أساطير أي حكايات سطرها الأولون في كتبهم فهي تروى ويتناقلها الناس ولا حقيقة لها ولا وجود.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب الشكر لله تعالى بطاعته على نعمه ومن بينها نعمة السمع والبصر والقلب.

٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بما تضمنت الآيات من الأدلة العديدة على ذلك.

٣ - سوء التقليد وآثاره في السلوك الإنساني بحيث ينكر المقلد عقله.

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ

---

(١) قرأ الجمهور بهمزتين: الأولى. همزة الاستفهام، والثانية: همزة إذ الشرطية وكذلك مع (إنا لمبعوثون) إلاّ نافعاً وأبا عمرو فقد قرءابهمرة واحدة اكتفاء بهمزة الاستفهام الأولى: الدالة على الشرط عن همزة الجواب. والاستفهام إنكاري.

(٢) من قبل محمد ﷺ وجملة: (إن هذه لأساطير الأولين جملة مستأنفة استئنافاً بيانيا جواباً لمن قال: كيف رد الأولون والآخرون على هذا القول؟

ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

شـرح الكلمـات :

قل أفلا تذكرون : فتعلمون أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً قادر على البعث وأنه لا إله إلا هو.

قل أفلا تتقون : أي كيف لا تتقونه بالإيمان به وتوحيده وتصديقه في البعث والجزاء.

من بيده ملكوت كل شيء : أي ملك كل شيء يتصرف فيه كيف يشاء.

وهو يجير ولا يجار عليه : يحفظ ويحمي من يشاء ولا يُحمى عليه ويحفظ من أراده بسوء.

فأنى تسحرون : أي كيف تخدعون وتصرفون عن الحق.

بل أتيناهم بالحق : أي بما هو الحق والصدق في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

ولعلا بعضهم على بعض : أي قهراً وسلطاناً.

عما يصفون : أي من الكذب كزعمهم أن لله ولداً وأن له شريكاً وأنه غير قادر على البعث.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء فقال تعالى لرسوله قل[1] لهؤلاء المشركين المنكرين للبعث والجزاء ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ من المخلوقات ﴿إن كنتم تعلمون﴾ من هي له فسموه. ولما لم يكن لهم من بُدٌّ أن يقولوا ﴿لله﴾ أخبر تعالى أنهم سيقولون لله. إذاً قل لهم: ﴿أفلا تذكرون[2]﴾ فتعلموا أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً وتصرفاً لايصلح أن يكون له شريك من عباده، وهو رب كل شيء ومليكه. وقوله: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ أي سَلْهُمْ من هو رب السموات السبع وربّ العرش العظيم. الذي أحاط بالملكوت كله، أي من هو خالق السموات السبع، ومن فيهن ومن خالق العرش العظيم ومالك ذلك كله والمتصرف فيه، ولما لم يكن من جواب سوى الله أخبر تعالى أنهم سيقولون الله أي خالقها وهي لله ملكا وتدبيرا وتصريفا إذا قل لهم يارسولنا ﴿أفلا تتقون﴾ أي الله وأنتم تنكرون عليه قدرته في إحياء الناس بعد موتهم وتجعلون له أندادا تعبدونها معه[3]، أما تخافون عقابه أما

---

(١) قل يا رسولنا جواباً لهم عما قالوه: (لمن الأرض. .) الخ.

(٢) أي: تتعظون فتعلموا. . الخ.

(٣) وتجعلون لله البنات وأنتم تكرهون ذلك لأنفسكم فكيف ترضونه لربكم؟

تخشون عذابه وقوله تعالى: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه﴾[1] أي سلهم يارسولنا فقل لهم من بيده ملكوت كل شيء أي ملك كل شيء وخزائنه؟ وهو يجير من يشاء أي يحمي ويحفظ من يشاء فلا يستطيع أحد أن يمسه بسوء ولا يجار عليه، أي ولا يستطيع أحد أن يجير أي يحمي ويحفظ عليه أحداً أراده بسوء وقوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي إن كنتم تعلمون أحداً غير الله بيده ملكوت كل شيء ويجير ولا يجار عليه فاذكروه، ولما لم يكن لهم أن يقولوا غير الله، أخبر تعالى أنهم سيقولون الله أي[2] هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهي لله خلقاً وملكاً وتصرفاً إذاً قل لهم ﴿فأنى تسحرون؟﴾ أي كيف تخدعون فتصرفون عن الحق فتعبدون غير الخالق الرازق، وتنكرون على الخالق إحياء الأموات وبعثهم وهو الذي أحياهم أولاً ثم أماتهم ثانياً فكيف ينكر عليه إحياءهم مرة أخرى وقوله تعالى: ﴿بل أتيناهم بالحق﴾[3] أي ليس الأمر كما يتوهمون ويخيل إليهم بل أتيناهم بذكرهم الذي هو القرآن به يذكرون لأنه ذكرى وذكر، وبه يذكرون لأنه شرف لهم وإنهم لكاذبون في كل مايدعون ويقولون. ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾[4] ولا بنت، ﴿وما كان معه من إله﴾ ولا ينبغي ذلك، والدليل المنطقي العقلي الذي لا يرد هو أنه لو كان مع الله إله آخر لقاسمه الملك وذهب كل إلـه بما خلق، ولحارب بعضهم بعضاً وعلا بعضهم على بعض غلبة وقهراً وقوله تعالى: ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً لله تعالى عما يصفـه به الواصفون من صفات العجز كاتخاذ الولد والشريك، والعجز عن البعث. وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب[5] والشهادة﴾ أي ماظهر ومابطن، وما غاب وما حضر فلوكان معه آلهة أخرى لعرفهم وأخبر عنهم ولكن هيهات هيهات أن يكون مع الله إله آخر وهو الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء. ﴿فتعالى عما يشركون﴾[6]

(١) الملكوت: من صفات المبالغة كالجبروت، والرهبوت، والمراد: ملك كل شيء، وهذا كله احتجاج على العرب لأنهم مقرّون بالله ربّاً، والاستفهام فيه وفي الذي قبله: تقريري لأنهم مقرّون أن الله هو ربّ السموات وأنه الذي بيده ملكوت كل شيء.

(٢) قرأ أبو عمرو: (سيقولون الله) في الموضعين الأخيرين، ولا خلاف في الموضع الأول لأنه سؤال بـ لمن الملك؟ ومن قرأ في الأخيرين بلفظ: الله فلأنّ السؤال بغير اللام فجاء الجواب على لفظه. ومن أجاب بـ لله، فإنه راعى المعنى إذ رب السموات: مالكها فهي له وملكوت كل شيء لله.

(٣) (بل أتيناهم بالحق): إضراب لإبطال كونهم مسحورين. أي: ليس الأمر كما يخيّل إليهم، وإنما أتيناهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون، فهذه علّة إعراضهم وعدم قبولهم لدعوة الحق، وقولهم فيه (إن هذا إلاّ أساطير الأولين).

(٤) نفى عنه تعالى اتخاذ الولد كما نفى أن يكون له شريك في الألوهية بالبرهان العقلي وهو: أنه لو كان معه آلهة لاقتسموا الكون وذهب كل إله بما خلق، وقد يحارب بعضهم بعضاً ويعلو من يغلب ولم يكن من مظاهر هذا شيء البتة فثبتت النتيجة وهي المذكورة أولا: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله).

(٥) هذا من جملة أدلة نفي الشريك له تعالى إذ العالم بكل شيء كيف يكون له شريك ولا يعرفه، وقرأ حفص عالِم بالجر على أنه نعت لاسم الجلالة في قوله (سبحان الله)، وقرأ نافع بالرفع على أنه خبر لمحذوف أي: هو عالم.

(٦) (عما يشركون) ما مصدرية، والمعنى: تعالى عن إشراكهم. أي: هو منزه عن أن يكون له شريك.

علواً كبيراً وتنزه تنزهاً عظيمًا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ مشروعية توبيخ المتغافل المتجاهل وتأنيب المتعامي عن الحق وهو قادر على رؤيته.

٢ ـ تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته.

٣ ـ تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد وإبطال ترهات المفترين.

٤ ـ الإستدلال العقلي ومشروعيته والعمل به لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

شـــرح الكلمـات :

إما تريني ما يوعدون : أي إن تُريني من العذاب.

ادفع بالتي هي أحسن : أي ادفـع بالخصلة التي هي أحسن وذلـك كالصفح والإعراض عنهم.

من همزات الشياطين : أي من وساوسهم التي تخطر بالقلب فتكاد تفسده.

أن يحضرون : أي في أموري حتى لايفسدوها علي.

جاء أحدهم الموت : أي رأى علاماته ورآه.
برزخ : أي حاجز يمنع وهو مدة الحياة الدنيا، وإن عاد بالبعث فلا عمل يقبل.

معنى الآيات:

في هذا السياق تهديد للمشركين الذين لم ينتفعوا بتلك التوجيهات التي تقدمت في الآيات قبل هذه، فأمر الله تعالى رسوله أن يدعوه ويضرع إليه إن هو أبقاه حتى يحين هلاك قومه، أن لا يهلكه معهم فقال: ﴿قل رب إما تريني[1]﴾ أي أن تريني ﴿مايوعدون﴾ أي من العذاب، ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ بل أخرجني منهم وأبعدني عنهم حتى لا أهلك معهم. وقوله تعالى: ﴿وإنا على أن نريك[2] مانعدهم لقادرون﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه قادر على إنزال العذاب الذي وعد به المشركين إذا لم يتوبوا قبل حلوله بهم.

وقوله: ﴿ادفع بالتي[3] هي أحسن﴾ هذا قبل أمره بقتالهم: أمره بأن يدفع مايقولونه له في الكفر والتكذيب بالخُلَّة والخصلة التي هي أحسن وذلك كالصفح والإعراض عنهم وعدم الإلتفات إليهم. وقوله: ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أي من قولهم لله شريك وله ولد، وأنه ما أرسل محمداً رسولاً، وأنه لا بعث ولا حياة ولا نشور يوم القيامة وقوله: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات[4] الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ لما علمه الاحتراز والتحصُّن من المشركين بالصفح والإعراض أمره أن يتحصن من الشياطين بالإستعاذة بالله تعالى فأمره أن يقول ﴿رب﴾ أي يارب ﴿أعوذ[5] بك﴾ أي استجير بك من همزات الشياطين أي وساوسهم حتى لا يفتنوني عن ديني وأعوذ بك أن يحضروا أمري فيفسدوه علي.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ أي إذا حضر أحد أولئك المشركين الموت

---

(١) أصل إما: إن ما, إن شرطية، وما: صلة لتقوية الشرط، وجواب الشرط فلا تجعلني مع القوم الظالمين، علمه ربه هذا الدعاء ليدعو به. أي: إذا أردت بهم عقوبة فأخرجني عنهم وأبعدني عنهم. وفي الآية تهديد عظيم للمشركين.
(٢) الجملة تحمل وعيداً آخر مؤكداً للأول الذي تضمنته جملة (ربِّ إمّا تريني ما يوعدون).
(٣) هذا بالنسبة إلى الأمة فهو محكم باق، وهو الصفح وعدم المؤاخذة فيما بينهم وأمّا بالنسبة للمشركين والكافرين، فهو موادعة لهم لا غير إلى أن يؤمر بقتالهم، وقد أمر به فيما بعد.
(٤) جمع همزة، والهمز في اللغة النخس والدفع، يقال: همزه ونخسه ودفعه، قال الليث: الهمز: كلام من وراء القفا، واللمز: مواجهة والشيطان يوسوس بوساوسه في صدر ابن آدم، الهمس لغة: الكلام الخفي يقال: همس في أذنه بكذا: أسرّ به إليه.
(٥) هذا التعوذ، وإن خوطب به الرسول ﷺ فهو لأمته معه بل هي أحوج منه إليه، وهمزات الشيطان: هي سورات الغضب التي لا يملك الإنسان بها نفسه وقد شكا خالد بن الوليد للنبي ﷺ أنه كان يؤرق من الليل فأمره أن يقول أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شرّ عباده ومن همزات الشياطين وأعوذ بك ربّ أن يحضرون).

أي رأى ملك الموت وأعوانه وقد حضروا لقبض روحه ﴿قال رب ارجعون﴾[1] أي أخروا موتي كي أعمل صالحاً فيما تركت العمل فيه بالصلاح، وفيما ضيعت من واجبات قال تعالى رداً عليه ﴿كلا﴾[2] اي لا رجوع أبداً، ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ لا فائدة منها ولا نفع فيها، ﴿ومن ورائهم برزخ﴾ أي حاجز مانع من العودة إلى الحياة وهو أيام الدنيا كلها حتى إذا انقضت عادوا إلى الحياة،ولكن ليست حياة عمل وإصلاح ولكنها حياة حساب وجزاء هذا معنى قوله: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[3].

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية الدعاء والترغيب فيه وإنه لذو جدوى للمؤمن.

٢ ـ استحباب دفع السيء من القول أو الفعل بالصفح والإعراض عن صاحبه.

٣ ـ مشروعية الإستعاذة بالله تعالى من وساوس الشياطين ومن حضورهم أمر العبد الهام حتى لايفسدوه عليه بالخواطر السيئة.

٤ ـ موعظة المؤمن بحال من يتمنى العمل الصالح عند الموت فلا يُمكن منه فيموت بندمه وحسرته ويلقى جزاء تفريطه حرماناً وخسراناً في الدار الآخرة.

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

---

(١) (ربِّ ارجعون) هذا تمنٍّ للحياة الدنيا بعد ذهابها، وهيهات هيهات أن تعود!! وقوله: (ارجعون): خاطب الربَّ تعالى بضمير التعظيم وتعظيم المخاطب شائع في كلام العرب.

(٢) كلا: ردع للسامع ليعلم يقينا إبطال ما يطلبه الكافر من الرجوع.

(٣) البرزخ: هو ما بين الدنيا والأخرة إذ كل ما حجز بين شيئين قيل فيه: برزخ.

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

شرح الكلمات:

في الصور	: أي في القرن المعبر عنه بالبوق نفخة القيام من القبور للحساب والجزاء.
المفلحون	: أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.
تلفح وجوههم النار	: أي تحرقها
وهم فيها كالحون	: الكالح من أحرقت النار جلدة وجهه وشفتيه فظهرت أسنانه.
ألم تكن آياتي تتلى عليكم	: أي يوبخون ويذكرون بالماضي ليحصل لهم الندم والمراد بالآيات آيات القرآن.
غلبت علينا شقوتنا	: أي الشقاوة الأزلية التي تكتب على العبد في كتاب المقادير قبل وجوده.
أخرجنا منها فإن عدنا	: أي من النار فإن عدنا إلى الشرك والمعاصي.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والدعوة إلى ذلك وعرض الأدلة وتبيينها وتنويعها، إذ لا يمكن استقامة إنسان في تفكيره وخلقه وسلوكه على مناهج الحق والخير إلا إذا آمن إيماناً راسخاً بوجود الله تعالى ووجوب طاعته وتوحيده في عباداته، وبالواسطة في ذلك وهو الوحي والنبي الموحي إليه، وبالبعث الآخر الذي هو دور الحصاد لما زرع الإنسان في هذه الحياة من خير وشر فقوله تعالى: ﴿فإذا نفخ[1] في الصور فلا أنساب[2] بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ هذا عرض لما يجرى في الآخرة فيخبر تعالى أنه إذا نفخ اسرافيل بإذن الله في الصور الذي هو القرن أي كقرن الشاة لقوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك

---

(١) هذه النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، والحشر والتي قبلها هي نفخة الفناء، والتي بعد نفخة الصعق، والأخيرة نفخة الحساب والجزاء.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا، ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا: من أي قبيلة أنت ولا من أي نسب ولايتعارفون لهول ما أذهلهم!!

يومئذ يوم عسير﴾ فلشدة الهول وعظيم الفزع لم يبق نسب يراعى[1] أو يلتفت إليه بل كل واحد همه نفسه فقط، ولا يسأل حميم حميمًا وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ قالت: هل تذكرون أهليكم يارسول الله يوم القيامة فقال أما عند ثلاثة فلا: إذا تطايرت الصحف، وإذا وضع الميزان وإذا نصب الصراط ومعنى هذا الحديث واضح والشاهد منه ظاهر وهو أنهم لا يتساءلون.

وقوله تعالى: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ أي من رجحت كفة حسناته على كفة سيئاته أفلح أي نجا من النار وأدخل الجنة وَمن خفت موازينه بأن حصل العكس فقد خسر وَ أبعد عن الجنة وأدخل النار وهذا معنى قوله تعالى ﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، تلفح[2] وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾[3] أي تحرق وجوههم النار فيكلحون باحتراق شفاههم وتظهر أسنانهم وهو أبشع منظر وأسواه وقوله تعالى: ﴿ألم تكن[4] آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون؟﴾ هذا يقال لهم تأنيباً وتوبيخاً وهم في جهنم وهو عذاب نفساني مع العذاب الجثماني ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أما كان رسلنا يتلون عليكم آياتنا ﴿فكنتم بها تكذبون﴾ بأقوالكم وأعمالكم أو بأعمالكم دون أقوالكم فلم تحرموا ما حرم الله ولم تؤدوا ما أوجب الله، ولم تنتهوا عما نهاكم عنه. وقوله تعالى: ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾[5] هذا جوابهم كالمعتذرين بأن شقاءهم كان بقضاء وقدر فلذا حيل بينهم وبين الإيمان والعمل الصالح. وقوله تعالى: ﴿وكنا قوماً ضالين﴾ هذا قولهم أيضاً وهو اعتراف صريح بأنهم كانوا ضالين. ثم قالوا ما أخبر تعالى به عنهم بقوله: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ هذا دعاؤهم وهم في جهنم يسألون ربهم أن يردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويستقيموا[6] على صراط الله المستقيم الذي هو الإسلام وسوف ينتظرون جواب الله تعالى ألف سنة، وهو ماتضمنته الآيات التالية.

---

(١) ورد ما يخصص هذا العموم وهو قوله ﷺ (كل سبب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي) رواه الطبراني فإنه إن صح يكون مخصصا لعموم الآية. والله أعلم.

(٢) (تلفح) وتنفح بمعنى واحد لقوله تعالى: (ولإن مستهم نفحة من عذاب ربك) إلاّ أن تلفح أبلغ من تنفح وأشد.

(٣) الكلوح: تكشر في عبوس، والكالح الذي تشمّرت شفتاه وبدت أسنانه قال ابن مسعود: أرأيت الرأس المشتط بالنار وقد بدت أسنانه وقلصت شفتاه.

(٤) الاستفهام للتقريع والتأنيب، والتذكير بما يزيد في حسرتهم وعظيم محنتهم وبلائهم.

(٥) قرأ ابن مسعود وبها قرأ الكوفيون إلا حفصاً شقاوتنا وقرأ الجمهور شقوتنا

(٦) وما يستقيمون لو ردوا لعلم الله تعالى بهم إذ قال عز وجل: (ولو ردوا لعادوا لما نُهوا عنه، وإنهم لكاذبون).

هداية الآيات :

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء من خلال عرض أحداثها في هذه الآيات.

٢ ـ تقرير أن وزن الأعمال يوم القيامة حق وإنكاره بدعة مكفرة.

٣ ـ تقرير أن إسرافيل ينفخ في الصور وإنكار ذلك وتأويله بلفظ الصور كما فعل المراغي عند تفسيره هذه الآية مع الأسف بدعة من البدع المنكرة ولذا نبهت عليها هنا حتى لا يغتر بها المؤمنون.

٤ ـ الإعتذار بالقدر لاينفع صاحبه، إذ القدر مستور فلا ينظر إليه والعبد مأمور فليؤتمر بأمر الله ورسوله ولينته بنهيهما ما دام العبد قادراً على ذلك فإن عجز فهو معذور.

قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾

شـرح الكلمـات :

إخسأوا : أي أبعدوا في النار أذلاء مخزيين.

فريق من عبادي : هم المؤمنون المتقون.

فاتخذتموهم سخرياً : أي جعلتموهم محط سخريتكم واستهزائكم.

بما صبروا : أي على الإيمان والتقوى.

هم الفائزون : أي الناجون من النار المنعمون في الجنة.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿قال اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾[1] هذا جواب سؤالهم المتقدم حيث قالوا: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾[2] وعلل تعالى لحكمه فيهم بالإبعاد في جهنم أذلاء مخزيين بقوله: ﴿إنه كان فريق من عبادي﴾ وهو فريق المؤمنين المتقين[3] يقولون ﴿ربنا آمنا فاغفر لنا﴾ ذنوبنا ﴿وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾ أي يعبدوننا ويتقربون إلينا ويتوسلون بإيمانهم وصالح أعمالهم ويسألوننا المغفرة والرحمة وكنتم أنتم تضحكون من عبادتهم ودعائهم وضراعتهم إلينا وتسخرون منهم[4] إني جزيتهم اليوم بصبرهم على طاعتنا مع ما يلاقون منكم من اضطهاد وسخرية. ﴿أنهم[5] هم الفائزون﴾ برضواني في جناتي لا غيرهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان مدى حسرة أهل النار لما يجابون بكلمة: ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾.

٢ - فضيلة التضرع إلى الله تعالى ودعائه والتوسل إليه بالإيمان وصالح الأعمال.

٣ - حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به والضحك منه.

٤ - فضيلة الصبر ولذا ورد أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد.

---

(١) أي: أبعدوا في جهنم كما يقال لكلب: اخسأ أي: أبعد، يقال: خسأ الكلب وأخساه لازم ومتعدّ. يروي عن ابن المبارك عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً ثمّ يرد عليهم (إنكم ماكثون) والصحيح أنه يجيبهم بعد ألف سنة، وعندها ينقطع رجاؤهم ودعاؤهم ويقبل بعضهم على بعض فيتنابحون كالكلاب وقد أطبقت عليهم النار.

(٢) الظلم: وضع الشي في غير موضعه وعابد غير الله تعالى واضع العبادة في غير موضعها فلذا هو ظالم. والشرك: ظلم عظيم.

(٣) كبلال وصهيب وعمّار وخباب من فقراء المسلمين الذين كان أبو جهل وأصحابه يهزؤون بهم ويسخرون منهم.

(٤) في الآية دليل على حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به.

(٥) قرىء بفتح الهمزة أي: لأنهم هم الفائزون وقرىء بكسرها على الابتداء.

قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

شرح الكلمات:

كم لبثتم في الأرض : أي كم سنة لبثتموها في الأرض أحياء وأمواتاً في قبوركم؟.

فاسأل العادين : يريدون الملائكة التي كانت تعد، وهم الكرام الكاتبون أو من يعد أما نحن فلم نعرف.

خلقناكم عبثاً : أي لا لحكمة بل لمجرد العيش واللعب كلا.

فتعالى الله الملك الحق : أي تنزه الله عن العبث.

لا برهان له : الجملة صفة لـ «إلهاً آخر» لا مفهوم لها إذ لا يوجد برهان ولا حجة على صحة عبادة غير الله تعالى إذ الخلق كله مربوب لله مملوك له.

حسابه عند ربه : أي مجازاته عند ربه هو الذي يجازيه بشركه به ودعاء غيره.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم مع أهل النار المنكرين للبعث والتوحيد بقوله تعالى: ﴿قال كم

لبثتم في الأرض عدد سنين؟﴾ هذا سؤال طرح عليهم أي سألهم ربهم وهو أعلم بلبثهم كم لبثتم من سنة في الدنيا مدة حياتكم فيها ومدة لبثكم أمواتاً في قبوركم؟ فأجابوا قائلين ﴿لبثنا يوماً أو بعض[1] يوم فاسأل[2] العادين﴾ أي من كان يعد من الملائكة أو من غيرهم، وهذا الإضطراب منهم عائد إلى نكرانهم للبعث وكفرهم في الدنيا به أولاً وثانياً أهوال الموقف وصعوبة الحال وآلام العذاب جعلتهم لايعرفون أما أهل الإيمان فقد جاء في سورة الروم أنهم يجيبون إجابة صحيحة إذ قال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾. وقوله تعالى: ﴿إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون[3]﴾ هذا بالنظر إلى ماتقدم من عمر الدنيا، فمدة حياتهم وموتهم إلى بعثهم ما هي إلا قليل وقوله تعالى: ﴿أفحسبتم[4] أنما خلقناكم[5] عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾، هذا منه تعالى توبيخ لهم وتأنيب على إنكارهم للبعث أنكر تعالى عليهم حسبانهم وظنهم أنهم لم يخلقوا للعبادة وإنما خلقوا للأكل والشرب والنكاح كما هو ظن كل الكافرين وأنهم لايبعثون ولا يحاسبون ولا يجزون بأعمالهم. وقوله تعالى: ﴿فتعالى[6] الله الملك الحق﴾ أي عن العبث وعن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وقوله: ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ أي لا معبود بحق إلا هو ﴿رب العرش الكريم﴾ أي مالك العرش الكريم ووصف العرش بالكرم سائغ كوصفه بالعظيم والعرش سرير الملك وهو كريم لما فيه من الخير وعظيم إذ هو أعظم من الكرسي والكرسي وسع السموات والأرض، ولم لا يكون العرش كريماً وعظيماً ومالكه جل جلاله هو مصدر كل كرم وخير وعظمة.

---

(١) هذا السؤال موجه للمشركين في عرصات القيامة، والسؤال عن ليثهم في قبورهم وجائز أن يكون عن مدة حياتهم في الدنيا.

(٢) قيل: أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في قبورهم، وقيل: استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور ورأوه يسيرا بالنسبة إلى ما هم بصدده.

(٣) هذا بالنظر إلى الدار الأخرة لا يعتبر شيئا يذكر.

(٤) روي بضعف ان ابن مسعود مرّ بمصاب مبتلى فقرأ في أذنه: (أفحسبتم) الآية إلى (رحيم) فبرأ فقال رسول الله ﷺ: (ماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال).

(٥) أي: مهملين كما خلق البهائم لاثواب لها ولا عقاب عليها كقوله تعالى (أيحسب الإنسان أن يترك سدىً).

(٦) (فتعالى الله): أي تنزه وتقدس الله الملك الحق عن الأولاد والشركاء والأنداد، وعن أن يخلق شيئا عبثاً أو سفهاً.

وقوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له﴾ أي ومن يعبد مع الله إلهاً آخر بالدعاء أو الخوف أو الرجاء أو النذر والذبح، وقوله: لا برهان له أي لا حجة له ولا سلطان على جواز عبادة ما عبده، ومن أين يكون له الحجة والبرهان على عبادة غير الله والله رب كل شيء ومليكه وقوله تعالى: ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ أي الله تعالى ربه يتولى حسابه ويجزيه بحسب عمله وسيخسر خسرانا مبينا لأنه كافر والكافرون لايفلحون أبداً فلا نجاة من النار ولا دخول للجنة بل حسبهم جهنم وبئس المهاد. وقوله تعالى: ﴿وقل رب اغفر وارحم[1]﴾ أي أمر الله تعالى رسوله أن يدعو بهذا الدعاء: رب اغفر لي وارحمني واغفر لسائر المؤمنين وارحمهم أجمعين فأنت خير الغافرين والراحمين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ عظم هول يوم القيامة وشدة الفزع فيه فليتق ذلك بالإيمان وصالح الأعمال.

٢ ـ تنزه الله تعالى عن العبث واللهو واللعب.

٣ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤ ـ كفر وشرك من يدعو مع الله إلهاً آخر.

٥ ـ الحكم بخسران الكافرين وعدم فلاحهم.

٦ ـ استحباب الدعاء بالمغفرة والرحمة للمؤمنين والمؤمنات.

(١) نظرت إلى حذف المفعول في: اغفر وارحم فانقدح في نفسي أن لحذفه سراً وهو: أن يكون عاماً في المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات).

سُورَةُ النُّور[1]

مدنية

وآياتها أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

شــرح الكلمــات :

سورة أنزلناها : أي هذه سورة أنزلناها .

وفرضناها : أي فرضنا ما فيها من أحكام .

وأنزلنا فيها آيات بينات : أي وأنزلنا ضمنها آيات أي حججاً واضحات تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

لعلكم تذكرون : أي تتعظون فتعملون بما في السورة من أحكام .

الزانية : من أفضت إلى رجل بغير نكاح شرعي وهي غير محصنة .

مائة جلدة : أي ضربة على جلد ظهره .

رأفة : شفقة ورحمة .

وليشهد عذابهما : أي اقامة الحد عليهما .

---

(١) روي أن عمر رضي الله عنه : كتب يوماً إلى أهل الكوفة . علّموا نساءكم سورة النور . كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور ، والغزل .

طائفة : أي عدد لا يقل عن ثلاثة أنفار من المسلمين والأربعة أولى من الثلاثة .

الزاني لا ينكح إلا زانية : أي إلا زانية مثله أو مشركة أي لايقع وطء إلاّ على مثله.[1]

معنى الآيات :

قولـه تعـالى : ﴿سورة أنزلناها﴾ أي هذه سورة من كتاب الله أنزلناها أي على عبدنا ورسولنا محمد ﷺ ﴿وفرضناها﴾ أي وفرضنا ما اشتملت عليه من أحكام على أمة الإسلام ، وقوله : ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي تتعظون فتعملون بما حوته هذه السورة من أوامر ونواه وآداب وأخلاق وقوله تعالى : ﴿الزانية والزاني[2] فاجلدوا كل[3] واحد منهما مائة جلدة﴾ أي من زنت برجل منكم أيها المسلمون وهما بكران حُرَّان غير محصنين ولا مملوكين فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة بعصا لا تشين جارحة ولا تكسر عضواً أي جلداً غير مبرح ، وزادت السنة تغريب سنة ، وقوله تعالى : ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ ، أي لا تشفقوا عليهما فتعطلوا حَدَّ الله تعالى وتحرموهما من التطهير بهذا الحد لأن الحدود كفارة لأصحابها ، وقوله : ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي فأقيموا عليهما الحد وقوله : ﴿وليشهد عذابهما﴾ أي إقامة الحد ﴿طائفة من المؤمنين﴾ أي ثلاثة أنفار فأكثر وأربعة أولى لأن شهادة الزنا تثبت بأربعة شهداء وكلما كثر العدد كان أولى وأفضل .

وقوله تعالى : ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ أي لا يطأ إلا مثله من الزواني أو مشركة لا دين لها ، والزانية أيضاً لايطأها إلا زانٍ مثلها أو مشرك ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أي حرم الله الزنا على المؤمنين والمؤمنات ولازم هذا أن لانزوج زانياً من عفيفة إلا بعد توبته،[4] ولا نزوج زانية من عفيف إلا بعد توبتها.[5]

---

(١) أي : إلا مثل الواطىء يريد الزاني بالزانية والمشرك بالمشركة .

(٢) قرأ الجمهور برفع الزانية وقرأ : عيسى الثقفي بالنصب وهو أوجه عند سيبويه لأنه نحو: زيداً أضربه ، وتقدير الرفع : مما يتلى عليكم الزانية والزاني . على تقديم الخبر، وقدمت الزانية لأنّ الزنى في النساء أعرّ وأقبح وأضر للحمل، وال : في الزانية والزاني : للجنس ليعم سائر الزناة، على مرور الأعصر والأيام .

(٣) لا خلاف في أنّ الذي يقوم بإقامة هذا الحد هو الإمام أو نائبه والسادة في العبيد، وأن السوط يكون بين اللين والشدة وسطا بينهما، ولا يتعدى هذا الحد إلا أن يجرؤ الناس على الجرائم ويكثر الشر والفساد فيعزرون بما يردعهم .

(٤) قيل : إن هذه الآية منسوخة بآية : (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) وما في التفسير أولى وأظهر وبه العمل .

(٥) الجمهور على أن من زنى بامرأة يجوز له أن يتزوجها بعد استبرائها بحيضة وإذا زنت امرأة الرجل أو زنى هو لا يفسد نكاحهما .

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان حكم الـزانية والـزاني البكرين الحرين وهو جلد مائة وتغريب عام وأما الثيبان فالرجم إن كانا حرين أو جلد خمسين[1] جلدة لكل واحد منهما إن كانا غير حرين.

٢ - وجوب إقامة هذا الحد أمام طائفة من المؤمنين.

٣ - لا يحل تزويج الزاني إلا بعد توبته، ولا الزانية إلا بعد توبتها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

شـرح الكلمـات:

يرمون : أي يقذفون.

المحصنات : أي العفيفات والرجال هنا كالنساء.

فاجلدوهم : أي حداً عليهم واجباً.

ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً : لسقوط عدالتهم بالقذف للمؤمنين والمؤمنات.

إلا الذين تابوا : فإنهم بعد توبتهم يعود إليهم اعتبارهم وتصح شهادتهم.

معنى الآيتين:

بعد بيان حكم الزناة بين تعالى حكم القذف فقال: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾[2] أي والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة وهي الزنا واللواط بأن يقول فلان زان أو لائط

---

(١) لقوله تعالى من سورة النساء (فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) والمراد به: الإماء والعبيد مثلهن، ولما كان الموت لا ينصّف فعلم أنه الجلد خمسين جلدة.

(٢) قيل: خص النساء بهذا وإن كان الرجال يشاركونهن في الحكم لأنّ القذف فيهن أشنع وأنكر للنفوس ومن حيث هو هوى الرجال.

فيقذفه بهذه الكلمة الخبيثة[1] فإن عليه أن يحضر شهوداً أربعة يشهدون أمام الحاكم على صحة ما رمى به أخاه المؤمن فإن لم يأت بالأربعة شهود أقيم عليه الحد المذكور في الآية: وهو جلد ثمانين جلدة على ظهره وتسقط عدالته حتى يتوب وهو معنى قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدةً ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ أي عن طاعة الله ورسوله ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ بأن كذبـوا أنفسهم بأنهم ما رأوا الفـاحشـة وقـوله: ﴿فإن الله غفور﴾ فيغفر لهم بعد التوبة ﴿رحيم﴾ بهم يرحمهم ولا يعذبهم بهذا الذنب العظيم بعدما تابوا منه.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١ ـ بيان حد القذف وهو جلد ثمانين جلدة لمن قذف مؤمناً أو مؤمنة بالفاحشة وكان المقذوف بالغاً عاقلاً مسلماً[2] عفيفاً أي لم يعرف بالفاحشة قبل رميه بها.[3]

٢ ـ سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب فإنه تعود إليه عدالته.

٣ ـ قبول توبة[4] التائب إن كانت توبته صادقة نصوحاً.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦)﴾

---

(١) اختلف في التعريض هل يوجب الحد أو لا؟فمالك يرى إيجابه إذا حصلت المعرفة بالتعريض وإلا فلا وأخذ التعريض من آية: (إنك لأنت الحليم الرشيد) قاله قوم شعيب لنبيهم شعيب عليه السلام تعريضاً به لا مدحاً له ومن أمثلة التعريض قول الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

شبهه بالنساء.
وقال آخر:

قبيلة لايغدرون بذمة   ولا يظلمون الناس حبّة خردل

اتهم القبيلة بالضعف وهو من أحوال النساء.

(٢) للقذف شروط تسعة: العقل والبلوغ وهما للقاذف والمقذوف سواء إذ هما شرط التكليف، وشرطان في الشيء المقذوف به وهما أن يكون القذف بوطىء يوجب الحد وهو الزنى واللواط أو بنفيه من أبيه وخمسة في المقذوف وهي: العقل والبلوغ كما تقدّم والاسلام والحرية والعفة.

(٣) الجمهور على أنه لا حد على من قذف كتابياً ذكراً أو أنثى والاجماع على عدم إقامة الحد على من قذف كافراً لأنه لا يُحَرمُ الزنى فكيف يحد على من قذف به؟.

(٤) إن شهد أربعة وأقيم الحد على المقذوف ثم أقرّ أحد الشهود بأنه كان كاذباً فإن لأولياء الدم بين قتله وبين العفو عنه وبين أخذ ربع الدية منه. هذا مذهب مالك وبه قال أحمد رحمهما الله تعالى.

وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ[1] لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

شــرح الكلمـات:

يرمون أزواجهم : أي يقذفونهن بالزنا كأن يقول زنت أو الحمل الذي في بطنها ليس منه.

إنه لمن الصادقين : أي فيما رماها به من الزنى.

والخامسة : أي والشهادة الخامسة.

ويدرأ عنها العذاب : أي يدفع عنها حد القذف وهو هنا الرجم حتى الموت.

أن تشهد أربع شهادات : أي شهادتها أربع شهادات.

والخامسة : هي قولها غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

ولولا فضل الله عليكم : أي لفضح القاذف أو المقذوف ببيان كذب أحدهما.

معنى الآيات:

بعـد بيان حكم حد القذف[2] العام ذكر تعالى حكم القذف الخاص وهو قذف الرجل زوجته فقال تعالى: ﴿والذين يرمون[3] أزواجهم﴾ أي بالفاحشة ﴿ولم يكن لهم شهداء[4]﴾ أي من يشهد معهم إلا أنفسهم أي إلا القاذف وحده فالذي يقوم مقام الأربعة شهود هو أن يشهد أربع[5] شهادات قائلاً: أشهد[6] بالله لقد رأيتها تزني أو زنت أو هذا الولد أو الحمل ليس لي ويلتعن فيقول في الخامسة ﴿لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ أي فيما رمى به زوجته. وهنا يعرض على الزوجة أن تقر بما رماها به زوجها ويقام عليها حد القذف وهو هنا الرجم، أو تشهد أربع شهادات بالله أنها مازنت، والخامسة تدعو على نفسها بغضب الله

(١) قرأ الجمهور بتشديد (أنّ لعنة الله عليه) (وأنّ غضب الله عليها) بلفظ المصدر في (أن غضب الله) وتقدر باء الجر قبل أنّ لأنها هي التي اقتضت فتح أنّ، وقرأ نافع بتخفيف نون ان في الموضعين وغضب بصيغة الماضي.

(٢) ويعرف باللعان: لأن كلا من الزوجين يلعن نفسه إن كان كذباً.

(٣) نزلت هذه الآيات في قضية عويمر العجلاني مع زوجته خولة بنت عاصم أو قيس. فقد جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فيقتلونه أم كيف يفعل؟ قال رسول الله ﷺ: (قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك) فاذهب فأت بها فأتى بها وتلاعنا وكانت هذه الحادثة في شعبان سنة تسع عقب القفول من غزوة تبوك.

(٤) حذف متعلق شهداء لظهوره من السياق أي: شهداء على ما ادعوه مما رموا به أزواجهم.

(٥) قامت الأربع شهادات مقام أربعة شهود الذين لابد منهم في القذف بالفاحشة خاصة فشهادة القتل والسرقة وغيرها يكتفى بشاهدين وفي القذف لابد من أربعة شهود.

(٦) سميت الأيمان هنا شهادة لأنها أقيمت مقام الشهود وأصبحت بدلاً عنها.

فتقول ﴿أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ فيما رماها به، وبذلك درأت عنها العـذاب الـذي هو الحد ويفرق بينهما فلا يجتمعان أبداً. وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله[1] عليكم ورحمتـه﴾ جواب لولا محذوف تقديره لعاجلكم بالعقوبة ولفضح أحد الكاذبين: ولكن الله تواب رحيم فستر عليكم ليتوب من يتوب منكم ورحمكم بهذا التشريع العادل الرحيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان حكم قذف الرجل امرأته ولم يكن له أربعة شهود يشهدون معه على ما رمى به زوجته وهو اللعان.

٢ - بيان كيفية اللعـان، وأنـه موجب لإقـامـة الحد، إن لم ترد الزوجة الدعوى بأربع شهادات والدعاء عليها في الخامسة وقولها ﴿أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾.

٣ - في مشروعية اللعان مظهر من مظاهر حسن التشريع الإسلامي وكماله وأن مثله لن يكون إلا بوحي إلهي وفيه إشارة إلى تقرير النبوة المحمدية.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

---

(١) هذا تذييل لما مرّ من الأحكام العظيمة الدالة على تفضل الله على عباده المؤمنين بأفضل تشريع وأحسن حل لأخطر مشكلة اجتماعية.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

شـــرح الكلمات:

بالإفك عصبة : الإفك الكذب المقلوب وهو أسوأ الكذب، والعصبة الجماعة.

شراً لكم بل هو خير لكم : الشر ما غلب ضرره على نفعه، والخير ما غلب نفعه على ضرره، والشر المحض النار يوم القيامة والخير المحض الجنة دار الأبرار.

والذي تولى كبره : أي معظمه وهو ابن أبي كبير المنافقين.

لولا : أداة تحضيض وحث بمعنى هَلاّ.

فيما أفضتم فيه : أي فيما تحدثتم بتوسع وعدم تحفظ.

إذ تلقونه : أي تتلقونه أي يتلقاه بعضكم من بعض.

وتحسبونه هيناً : أي من صغائر الذنوب وهو عند الله من كبائرها لأنه عرض مؤمنة هي زوج رسول الله ﷺ.

سبحانك. : كلمة تقال عند التعجب والمراد بها تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

بهتان عظيم : البهتان الكذب الذي يحيّر من قيل فيه.

يعظكم الله : أي ينهاكم نهياً مقروناً بالوعيد حتى لا تعودوا لمثله أبداً.

معنى الآيات:

بعد أن ذكر تعالى حكم القذف العام والخاص ذكر حادثة الإفك التي هلك فيها خلق لا يحصون عداً إذ طائفة الشيعة الروافض ما زالوا يهلكون فيها جيلاً بعد جيل إلى اليوم إذ وَرَّثَ فيهم رؤوساء الفتنة الذين اقتطعوا من الإسلام وأمته جزءاً كبيراً سموه شيعة آل البيت تضليلاً وتغريراً فأخرجوهم من الإسلام باسم الإسلام وأوردهم النار باسم

الخوف من النار فكذبوا الله ورسوله وسبوا زوج رسول الله واتهموها بالفاحشة وأهانوا أباها ولوثوا شرف زوجها ﷺ بنسبة زوجه إلى الفاحشة.

وخلاصة الحادثة أن رسول الله ﷺ بعد أن فرض الحجاب على النساء المؤمنات خرج إلى غزوة تدعى غزوة بني المصطلق أو المريسيع، ولما كان عائداً منها وقارب المدينة النبوية نزل ليلاً وارتحل، ولما كان الرجال يرحلون النساء على الهوادج وجدوا هودج عائشة رضى الله عنها فظنوها فيه فوضعوه على البعير وساقوه ضمن الجيش ظانين أن عائشة فيه، وما هي فيه، لأنها ذكرت عقداً لها قد سقط منها في مكان تبرزت فيه فعادت تلتمس عقدها فوجدت الجيش قد رحل فجلست في مكانها لعلهم إذا افتقدوها رجعوا إليها ومازالت جالسة تنظر حتى جاء صفوان بن معطل السلمي رضى الله عنه وكان الرسول ﷺ قد عينه في الساقة وهم جماعة يمشون وراء الجيش بعيداً عنه حتى إذا تأخر شخص أو ترك متاع أو ضاع شيء يأخذونه ويصلون به إلى المعسكر فنظر فرآها من بعيد فأخذ يسترجع أي يقول إنا لله وإنا إليه راجعون آسفاً لتخلف عائشة عن الركب قالت رضى الله عنها فتجلببت بثيابي وغطيت وجهي وجاء فأناخ راحلته فركبتها وقادها بي حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ في المعسكر، وما إن رآني ابن أبي لعنة الله عليه حتى قال والله مانجت منه ولا نجا منها، وروج للفتنة فاستجاب له ثلاثة أنفار فرددوا ما قال وهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، ﴿والذي تولى كبره﴾ هو ابن أبي المنافق وتورط آخرون ولكن هؤلاء الأربعة هم الذين أشاعوا وراجت الفتنة في المدينة واضطربت لها نفس رسول الله ﷺ ونفوس أصحابه وآل بيته فأنزل الله هذه الآيات في براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وبراءة صفوان رضى الله عنه، ومن خلال شرح الآيات تتضح جوانب القصة.

قال تعالى: ﴿إن الذين[1] جاءوا بالإفك عصبة منكم[2]﴾ أي إن الذين جاءوا بهذا الكذب المقلوب إذ المفروض أن يكون الطهر والعفاف لكل من أم المؤمنين وصفوان بدل الرمي بالفاحشة القبيحة فقلبوا القضية فلذا كان كذبهم إفكاً وقوله: ﴿عصبة﴾ أي جماعة لايقل عادة عددهم على عشرة أنفار إلا أن الذين روجوا الفتنة وتورطوا فيها حقيقة وأقيم عليهم الحد أربعة ابن أبي وهو الذي تولى كبره منهم وتوعده الله بالعذاب العظيم لأنه منافق كافر

---

(١) هذا كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً، والإفك: الكذب الخالص .الذي لا شبهة فيه يفاجأ به المرء فيبهته فيصير بهتانا وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو القلب ومن صوره أن يقال في الصادق كاذب والطاهر خبيث ونحو ذلك.

(٢) عصبة: خبر إنَّ، والعصبة: الجماعة يتعصب بعضهم لبعض.

مات على كفره ونفاقه، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب رضى الله عنها وحسان بن ثابت رضى الله عنه، وقوله تعالى: ﴿لاتحسبوه شراً لكم﴾ لما نالكم من هم وغم وكرب من جرائه ﴿بل هو خير لكم﴾ لما كان له من العاقبة الحسنة وما نالكم من الأجـر العظيم من أجل عظم المصاب وشدة الفتنة وقوله تعالى: ﴿لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم﴾ على قدر ما قال وروج وسيجزي به إن لم يتب الله تعالى عليه ويعفو عنه.

وقوله: ﴿والذي تولى كبره[1] منهم له عذاب عظيم﴾ وهو عبدالله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين عليه لعنة الله.

وقوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه[2] ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين﴾ هذا شروع في عتاب القوم وتأديبهم وتعليم المسلمين وتربيتهم فقال عز وجل: ﴿لـولا﴾ أي هلا وهي للحض والحث على فعـل الشيء إذ سمعتم قول الإفـك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة، وقلتم لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين أي ظاهر لا يقبل ولا يقر عليه هكذا كان الواجب عليكم ولكنكم مافعلتم.

وقوله تعالى: ﴿لولا جاءوا[3] عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ أي كان المفروض فيكم أيها المؤمنون أنكم تقولون هذا لمن جاء بالافك فإنهم لايأتون بشاهد فضلاً عن أربعة وبذلك تسجلون عليهم لعنة الكذب في حكم الله. وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل[4] الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم[5] فيه عذاب عظيم﴾ هذه منة من الله تحمل أيضاً عتاباً واضحاً إذ بولوغكم في عرض أم المؤمنين، وما كان لكم أن تفعلوا ذلـك قـد استـوجبتم العذاب لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب العظيم. وقوله: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ أي يتلقاه بعضكم من بعض، ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ وهذا عتاب وتأديب. وقوله: ﴿وتحسبونه هينا﴾ أي ليس بذنب كبير ولا تبعة فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾، وكيف وهو يمس عرض رسول الله وعائشة والصديق وآل البيت أجمعين.

---

(١) الكِبر: بكسر الكاف قراءة الجمهور ومعناه: أشد الشيء ومعظمه، وقرىء كُبره بضم الكاف.

(٢) كلام مستأنف مسوق لتوبيخ العصبة وفيه تربية للمسلمين وإرشاد لهم لما ينبغي أن يكونوا عليه من الآداب.

(٣) لولا: هذه مثل سابقتها حرف تحريض.

(٤) لولا هذه حرف امتناع لوجود، امتنع مس العذاب لوجود فضل الله ورحمته.

(٥) الإفاضة في القول: التوسع فيه مشتقة من إفاضة الماء على العضو.

وقوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه[1] قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ إذ هذه مما لايصح لمؤمن أن يقول فيه لخطره وعظم شأنه. وقلتم متعجبين من مثله كيف يقع ﴿سبحانك﴾ أي يارب ﴿هذا﴾ أي الإفك ﴿بهتان عظيم﴾ بهتوا به أم المؤمنين وصفوان.

وقوله: ﴿يعظكم[2] الله﴾ أي ينهاكم الله مخوفاً لكم بذكر العقوبة الشديدة ﴿أن تعودوا لمثله أبداً﴾ أي طول الحياة فإياكم إياكم إن كنتم مؤمنين حقاً وصدقاً فلا تعودوا لمثله أبداً. وقوله: ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ التي تحمل الهدى والنور لترشدوا وتكملوا والله عليم بخلقه وأعمالهم وأحوالهم حكيم فيما يشرع لهم من أمر ونهي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير له.

٢ - بشاعة الإفك وعظيم جرمه.

٣ - العقوبة على قدر الجرم كبراً وصغراً قلة وكثرة.

٤ - واجب المؤمن أن لايصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة، وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك فإن قال لا قال له إذاً أنت عند الله من الكاذبين.

٥ - حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ

---

(١) لولا هنا بمعنى: هلا وهي للتوبيخ.

(٢) قال مالك: من سبّ أبا بكر وعمر أدّب ومن سبّ عائشة كفر لأن عائشة برأها الله تعالى فمن سبّها بغير الفاحشة أدّب ومن سبّها بالفاحشة كفر لأنه كذّب الله تعالى.

ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

شــرح الكلمـات :

أن تشيع الفاحشة : أي تعم المجتمع وتنتشر فيه والفاحشة هي الزنا.

ولولا فضل الله عليكم ورحمته : جواب لولا محذوف تقديره : لعاجلكم بالعقوبة أيها العصبة.

خطوات الشيطان : نزغاته ووساوسه.

ما زكى منكم من أحد أبداً : أي ماطهر ظاهره وباطنه وهي خلو النفس من دنس الإثم.

ولا يأتل أولوا الفضل منكم : أي ولا يحلف صاحب الفضل منكم وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

والسعة : أي سعة الرزق والفضل والإحسان إلى الغير.

معنى الآيات :

مازال السياق في عتاب المؤمنين الذين خاضوا في الإفك فقوله تعالى : ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾[1] أي تنتشر وتشتهر ﴿في الذين آمنوا﴾ أي في المؤمنين ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾ بإقامة حد القذف عليهم وإسقاط عدالتهم وفي الآخرة إن لم يتوبوا بإدخالهم نار جهنم، وكفى بهذا الوعد زاجراً ورادعاً وقوله تعالى : ﴿والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ أي ما يترتب على حب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين من الآثار السيئة فلذا توعد من يحبها بالعذاب الأليم في الدارين، وأوجب رد الأمور إليه تعالى وعدم الاعتراض على مايشرع وذلك

(١) روي أنه ﷺ قال: (أيما رجل شد عضد امرىء من الناس في خصومة لا علم له بها فهو في سخط الله حتى ينزع، وأيما رجل قال شفاعة دون حد من حدود الله أن يقام فقد عاند الله وأقدم على سخطه وعليه لعنة الله تتتابع إلى يوم القيامة، وأيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء أن يشقيه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يرميه بها في النار، ثم تلا مصداقه من كتاب الله : (إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة) الآية.

لعلمه المحيط بكل شيء وجهلنا لكل شيء إلا ما علمناه فأزال به جهلنا وقوله : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ لهلكتم[1] بجهلكم وسوء عملكم . ولكن لما أحاطكم الله به من فضل لم تستوجبوه إلا برأفته بكم ورحمته لكم عفا عنكم ولم يعاقبكم .

وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾[2] أي يامن صدقتم الله ورسوله لاتتبعوا خطوات الشيطان فإنه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي وسيء الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لايلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر، ففاصلوا هذا العدو، واتركوا الجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قط فاحذروا وسواسه وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لاينجكم منه إلا هو سبحانه وتعالى وقوله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾ وهذه منة أخرى وهي أنه لولا[3] فضل الله على المؤمنين ورحمته بحفظهم ودفع الشيطان عنهم ما كان ليطهر منهم أحد ، وذلك لضعفهم واستعدادهم الفطري للاستجابة لعدوهم، فعلى الذين شعروا بكمالهم ؛ لأنهم نجوا مما وقع فيه عصبة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم وأن يقللوا من لومهم وعتابهم ، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه اخوانهم ، فليحمدوا الله الذي نجاهم وليتطامنوا تواضعاً لله وشكراً له . وقوله : ﴿ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ أي فمن شاء الله تزكيته زكاه وعليه فليلجأ إليه وليطلب التزكية منه ، وهو تعالى يزكي من كان أهلاً للتزكية ، ومن لا فلا ، لأنه السميع لأقوال عباده والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقتضي التضرع إليه والتذلل وقوله تعالى : ﴿ولا يأتل أولو الفضل[4] منكم والسعة[5] أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا﴾ هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثاثة

---

(١) (لهلكتم) هو جواب لولا المحذوف والسر في حذفه أن تذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام والسياق.

(٢) في الآية إشارة أفصح من عبارة وهي : أنّ الظنون السيئة وحب الفاحشة وحب إشاعتها بين المؤمنين كل هذا من وساوس الشيطان وتزيينه للناس للفتنة والإفساد.

(٣) لولا هنا : حرف امتناع لوجود امتنع عدم التزكية لوجود فضل الله تعالى ورحمته ، والجملة سيقت للامتنان على المؤمنين ليشكروا.

(٤) روي في الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل : (إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) العشر آيات، قال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال في عائشة فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولوا الفضل منكم) إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه. وقال: لا أنزعها منه أبدا. قال ابن المبارك. هذه أرجى آية في كتاب الله.

(٥) الفضل: الزيادة وهي ضد النقص. والسعة: الغنى والائتلاء: الحلف مأخوذ من الألية التي هي الحلف.

وهو ابن خالته، وكان رجلاً فقيراً من المهاجرين ووقع في الإفك فغضب عليه أبو بكر وحلف أن يمنعه ما كان يرفده به من طعام وشراب، فأنزل الله تعالى هذه الآية ولايأتل أي ولا يحلف أصحاب الفضل والإحسان والسعة في الرزق والمعاش أن يؤتوا أولى القربى أي أن يعطوا أصحاب القرابة، والمساكين والمهاجرين في سبيل الله كمسطح، وليعفوا أي وعليهم أن يعفوا عما صدر من أولئك الأقرباء من الفقراء والمهاجرين، وليصفحوا أي يعرضوا عما قالوه فلا يذكروه لهم ولا يذكرونهم به فإنه يحزنهم ويسوءهم ولا سيما وقد تابوا وأقيم الحد عليهم وقوله تعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟﴾[1] فقال أبو بكر بلى والله أحب أن يغفر الله لي فعندها صفح وعفا وسأل رسول الله ﷺ عن يمينه فقال كفر عن يمينك ورد الذي كنت تعطيه لمسطح. وتقرر بذلك أن من حلف يميناً على شيء فرأى غيره خيراً منه كفر عن يمينه وأتى الذي هو خير.

وقوله تعالى: ﴿والله غفور رحيم﴾ فهذا إخبار منه تعالى أنه ذو المغفرة والرحمة وهما من صفاته الثابتة له وفي هذا الخبر تطميع للعباد لأن يرجوا مغفرة الله ورحمته وذلك بالتوبة الصادقة والطلب الحثيث المتواصل لأن الله تعالى لا يغفر لمن لا يستغفره، ولا يرحم من لا يرجو ويطلب رحمته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - لقبح فاحشة الزنى وضع الله تعالى لمقاومتها أموراً منها وضع حد شرعي لها، ومنع تزويج الزاني من عفيفة أو عفيفة من زانٍ إلا بعد التوبة، ومنها شهود عدد من المسلمين إقامة الحد ومنها حد القذف ومنها اللعان بين الزوجين، ومنها حرمة ظن السوء بالمؤمنين، ومنها حرمة حب ظهور الفاحشة وإشاعتها في المؤمنين. ومنها وجوب الإستئذان عند دخول البيوت المسكونة، ومنها وجوب غض البصر وحرمة النظر إلى الأجنبية، ومنها احتجاب المؤمنة عن الرجال الأجانب ومنها حرمة حركة ماكضرب الأرض بالأرجل لإظهار الزينة. ومنها وجوب تزويج العزاب والمساعدة على ذلك حتى في العبيد بشروطها. ومنها وجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم، وهذه وغيرها كلها أسباب واقية من أخطر فاحشة وهي الزنى.

---

(١) (ألا تحبّون): الاستفهام للإنكار وهو مستعمل في التحضيض والحث على السعي تحصيلا للمغفرة بالعفو والصفح.

٢ ـ حرمة إتباع الشيطان فيما يزينه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر.

٣ ـ متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه يؤدي بالعبد أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر.

٤ ـ على من حفظهم الله من الوقوع في السوء أن يتطامنوا ولا يشعروا بالكبر فإن عصمتهم من الله تعالى لا من أنفسهم.

٥ ـ من حلف على شيء لايفعله أو يفعله ورأى أن غيره خيرٌ منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير.

٦ ـ وجوب العفو والصفح على ذوي المروءات وإقالة عثرتهم إن هم تابوا وأصلحوا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

شـــرح الكلمـات:

يرمون المحصنات : أي العفيفات بالزنى.

الغافلات : أي عن الفواحش بحيث لم يقع في قلوبهن فعلها.

المؤمنات : أي بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

يعملون : أي من قول أو عمل.

يوفيهم الله دينهم الحق : أي يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم.

الخبيثات : الخبيثات من النساء والكلمات .

للخبيثين	: للخبيثين من الرجال
والطيبات	: من النساء والكلمات
للطيبين	: أي من الرجال.
أولئك مبرءون مما يقولون	: أي صفوان بن المعطل وعائشة رضى الله عنهما أي مبرءون مما قاله عصبة الإفك.

معنى الآيات:

قوله تعالى: ﴿إن الذين يرمون[1] المحصنات[2] الغافلات[3] المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة﴾ هذه الآية وإن تناولت ابتداءً عبدالله بن أبي فإنها عامة في كل من يقذف مؤمنة محصنة أي عفيفة غافلة لسلامة صدرها من الفواحش لا تخطر ببالها ﴿لعنوا﴾ أي أبعدوا من الرحمة الإلهية ﴿في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم﴾ في الدنيا بإقامة الحد عليهم وفي الآخرة بعذاب النار، وذلك ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ من سوء الأفعال وقوله تعالى: ﴿يومئذ[4] يوفيهم الله دينهم الحق﴾ أي يتم ذلك يوم يوفيهم الله دينهم الحق أي جزاءهم الواجب عليهم ويعلمون حينئذ أن الله هو الحق[5] المبين أي الإله الحق الواجب الإيمان به والطاعة له والعبودية الكاملة له لا لغيره.

وقوله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين[6]﴾ أي الخبيثات من النساء[7] والكلمات للخبيثين من الرجال كابن أبي، ﴿والخبيثون للخبيثات﴾ أي والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والكلمات وقوله: ﴿والطيبات للطيبين﴾ أي والطيبات من النساء والكلمات للطيبين من الرجال كالنبي ﷺ وعائشة رضى الله عنها وقوله: ﴿والطيبون للطيبات﴾ أي والطيبون من الرجال للطيبات من النساء والكلمات تأكيد للخبر السابق وقوله تعالى: ﴿أولئك مبرؤون مما

---

(١) هذه الجملة مستأنفة كجملة: (إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا..) وكلتا الجملتين تفصيل للموعظة في قوله تعالى: (يعظكم الله أن لا تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين).

(٢) الإجماع على أنّ حكم المحصنين من الرجال كالمحصنات من النساء في القذف بلا فرق قياساً واستدلالا وحكماً وقضاء.

(٣) الغافلات: هن اللاتي لاعلم لهن بما رمين به وذلك لسلامة صدورهن وبُعدهن ـ بحكم إيمانهنّ ـ عن مواطن الريب.

(٤) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٥) لوصف الله تعالى بالحق له معنيان جليلان. الأوّل: أنه بمعنى: الثابت الحق لأنّ وجوده واجب فذاته حق إذ لم يسبق عليها عدم ولا انتفاء فلا يقبل إمكان العدم. والثاني: أنه تعالى ذو الحق الواجب له على عباده وهو عبادته وحده دون سواه.

(٦) الابتداء بذكر الخبيثات لأنّ الغرض من الكلام الاستدلال على براءة عائشة أم المؤمنين واللام في للخبيثين: للاستحقاق.

(٧) المراد من الخبث والطيب: الصفات النفسية. الفواحش: صفات خبث والفضائل صفات طهر.

يقولون﴾ أولئك إشارة إلى صفوان بن المعطل وعائشة رضى الله عنها، ومبرؤون أي من قالة السوء التي قالها ابن أُبي ومن أذاعها معه. وقوله: ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ هذه بشرى لهم بالجنة مقابل مانالهم من ألم الإفك الذي جاءت به العصبة المتقدم ذكرها إذ أخبر تعالى أن لهم مغفرة لذنوبهم التي لايخلو منها مؤمن وهو الستر عنها ومحوها ورزقاً كريمًا في الجنة.

وبهذه تمت براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها والحمد لله أولاً وآخراً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - عِظَمُ ذنب قذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقد عده رسول الله ﷺ في السبع الموبقات، والعياذ بالله تعالى.

٢ - تقرير الحساب وما يتم فيه من استنطاق واستجواب.

٣ - تقرير التوحيد بأنه لا إله إلا الله.

٤ - استحقاق الخبث أهله. فالخبيث هو الذي يناسبه القول الخبيث والفعل الخبيث.

٥ - استحقاق الطيب أهله فالطيب هو الذي يناسبه القول الطيب والفعل الطيب.

٦ - براءة أم المؤمنين وصفوان مما رماهما به أهل الإفك.

٧ - بشارة أم المؤمنين وصفوان بالجنة بعد مغفرة ذنوبهما.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾

شـــرح الكلمات :

آمنوا : أي صدقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من الغيب والشرع .

تستأنسوا : أي تستأذنوا إذ الاستئذان من عمل الإنسان والدخول بدونه من عمل الحيوان الوحشي .

وتسلموا على أهلها : أي تقولوا السلام عليكم أأدخل ثلاثا .

تذكرون : أي تذكرون أنكم مؤمنون، وأن الله أمركم بالإستئذان .

أزكى لكم : أي أطهر وأبعد عن الريبة والإثم .

ليس عليكم جناح : أي إثم ولا حرج .

فيها متاع لكم : أي ما تتمتعون به كالنزول بها أو شراء حاجة منها .

ماتبدون : أي ماتظهرونه .

وما تكتمون : أي ماتخفونه إذاً فراقبوه تعالى ولا تضمروا ما لايرضى فإنه يعلمه .

معنى الآيات :

نظراً إلى خطر الرمي بالفاحشة وفعلها وحرمة ذلك كان المناسب هنا ذكر وسيلة من وسائل الوقاية من الوقوع في مثل ذلك ففرض الله تعالى على المؤمنين الإستئذان فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً[1] غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً لاتدخلوا بيوتاً على أهلها حتى تسلموا عليهم قائليـــن الســـلام عليكـــم[2] وتستأذنوا قائلين أندخل ثلاث مرات فإن أذن لكم بالدخول دخلتم وإن قيل لكم ارجعوا أي لم يأذنوا لكم لحاجة عندهم فارجعوا وعبر عن الإستئذان بالاستئناس لأمرين أولها أن لفظ الإستئناس[3] وارد في لغة العرب بمعنى الإستئذان وثانيهما: أن الإستئذان من خصائص الإنسان الناطق وعدمه من خصائص الحيوان المتوحش إذ يدخل على المنزل بدون إذن إذ ذاك ليس من خصائصه .

---

(١) ورد في سبب نزول هذه الآية أنّ امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله : إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل عليّ وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت الآية فقال أبو بكر يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها مساكن؟ فأنزل الله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة . .) الخ .

(٢) صحّ أن رجلاً دخل على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ (ارجع فقل السلام عليكم) وقال: (من لم يبدأ بالسلام فلا تأذنوا له).

(٣) الاستئناس، معناه طلب الأنس لأهل البيت حتى تزول الوحشة والكراهة وذلك بالاستئذان .

وقوله ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي الإستئذان خير لكم أي من عدمه لما فيه من الوقاية من الوقوع في الإثم وقوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي تذكرون أنكم مؤمنون وأن الله تعالى أمركم بالإستئذان حتى لا يحصل لكم مايضركم وبذلك يزداد إيمانكم وتسموا أرواحكم. وقوله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً﴾ أي في البيوت يأذن لكم أي بالدخول فلا تدخلوها وقوله تعالى: ﴿وإن قيل لكم ارجعوا﴾ لِأمرٍ اقتضى ذلك ﴿فارجعوا﴾ وأنتم راضون غير ساخطين. وقوله تعالى: ﴿هو أزكى لكم﴾ أي أطهر لنفوسكم وأكثر عائدة خير عليكم. وقوله تعالى: ﴿والله بما تعملون عليم﴾[1] أي مطلع على أحوالكم فتشريعه لكم الإستئذان واقع موقعه إذاً فأطيعوه فيه وفي غيره تكملوا وتسعدوا.

وقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم﴾. هذه رخصة منه تعالى لعباده المؤمنين بأن لا يستأذنوا عند دخولهم بيوتاً غير مسكونة أي ليس فيها نساء من زوجات وسريات يحرم النظر إليهن وذلك كالدكاكين والفنادق وما إلى ذلك فللعبد أن يدخل لقضاء حاجاته المعبر عنها بالمتاع بدون استئذان لأنها مفتوحة للعموم من أصحاب الأغراض والحاجات أما السلام فسنة على من دخل على دكان أو فندق فليقل السلام عليكم والذي يسقط هو الإستئذان أي طلب الإذن لا غير.

وقوله تعالى: ﴿والله يعلم ماتبدون وما تكتمون﴾ أي يعلم ماتظهرون من أقوالكم وأعمالكم وماتخفون إذاً فراقبوه تعالى في أوامره ونواهيه وافعلوا المأمور واتركوا المنهي تكملوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية الإستئذان[2] ووجوبه على كل من أراد أن يدخل بيتاً مسكوناً غير بيته.

٢ ـ الرخصة في عدم الإستئذان من دخول البيوت والمحلات غير المسكونة للعبد فيها غرض.

---

(١) ورد في الصحيح ما يجعل الاستئذان متأكداً فوق المشروعية إذ أنّ رجلا اطلع في جحر في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مِدراً يرجّل به رأسه فقال له رسول الله ﷺ (لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الله الإذن من أجل البصر) وفي الآية توعد ظاهر لأهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة.

(٢) وإذا قيل له مَن؟ فلا يقل أنا بل يقول فلان ابن فلان لحديث الشيخين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال: استأذنت على رسول الله ﷺ فقال: من هذا؟ فقالت أنا فقال النبي ﷺ: أنا أنا كأنه كره ذلك).

٣ ـ من آداب الإستئذان أن يقف بجانب الباب فلا يعترضه، وأن يرفع صوته بقدر الحاجة وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً وأن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات .

٤ ـ في كل طاعة خير وبركة وإن كانت كلمة طيبة .

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ
ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ
ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا
إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

شـرح الكلمات :

يغضوا من أبصارهم(١) : أي يخفضوا من أبصارهم حتى لا ينظروا إلى نساء لا يحل لهم أن ينظروا إليهن .

ويحفظوا فروجهم : أي يصونونها من النظر إليها ومن إتيان الفاحشة الزنى واللواط .

---

(١) بدأ بالأمر بغض البصر قبل الأمر بحفظ الفرج لأنّ البصر رائد للقلب كما أنّ الحمّى رائد الموت . اخذ هذا المعنى شاعر فقال :

ألم تر أن العين للقلب رائد   فما تألف العينان فالقلب آلف

أزكى لهم : أي أكثر تزكية لنفوسهم من فعل المندوبات والمستحبات .

ولا يبدين زينتهن : أي مواضـع الـزينـة السـاقين حيث يوضع الخلخال، وكالكفين والذراعين حيث الأساور والخواتم والحناء والرأس حيث الشعـر والأقـراط في الأذنين والتزجيج في الحاجبين والكحل في العينين والعنق والصدر حيث السخاب والقلائد .

إلا ما ظهر منها : أي بالضرورة دون اختيار وذلـك كالكفين لتناول شيئاً والعـين الـواحـدة أو الاثنتين للنظر بهما، والثياب الظاهرة كالخمار والعجار والعباءة .

بخمرهن على جيوبهن : أي ولتضرب المرأة المسلمة الحرة بخمارها على جيوب أي فتحات الثياب في الصدر وغيره حتى لايبدو شيء من جسمها .

إلا لبعولتهن : البعل الزوج والجمع بعول .

أو نسائهن : أي المسلمات فيخرج الذميات فلا تتكشف المسلمة أمامهن .

أو ما ملكت أيمانهن : أي العبيد والجـواري فللمسلمـة أن تكشف وجههـا لخادمها المملوك .

أو التابعين غير أولي الإربة : أي التابعين لأهل البيت يطعمونهم ويسكنونهم ممن لا حاجة لهم إلى النساء .

أو الطفل : أي الأطفال الصغار قبل التمييز والبلوغ .

لم يظهروا على عورات النساء : أي لم يبلغوا سناً تدعوهم إلى الاطلاع على عورات النساء للتلذذ بهن .

ليعلم ما يخفين من زينتهن : أي الخلاخل في الرجلين .

تفلحون : أي تفـوزون بالنجاة من العار والنار، وبالظفر بالطهر والشرف وعالي الغرف في دار النعيم .

معنى الآيات:

سبق أن ذكرنا أنه لقبح وفساد الزنى وسوء أثره على النفس والحياة البشرية وضع الشارع عدة أسباب واقية من الوقوع فيه ومنها الأمر بغض البصر للرجال والنساء فقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من[1] أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ أي مُرْ يارسولنا المؤمنين بأن يغضوا من[2] أبصارهم أي بأن يخفضوا أجفانهم على أعينهم حتى لا ينظروا إلى الأجنبيات عنهم من النساء ويحفظوا فروجهم عن النظر إليها فلا يكشفوها لأحد إلا ما كان من الزوج لزوجه فلا حرج وعدم النظر أولى وأطيب، وقوله: ﴿ذلك أزكى لهم﴾ أي أطهر لنفوسهم من نوافل العبادات، وقوله: ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ فليراقبوه تعالى في ذلك المأمور به من غض البصر وحفظ الفرج إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن[3]﴾ إذ شأنهن شأن الرجال في كل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج وقوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ أي مُرْهُن بغض البصر وحفظ الفرج وعدم إظهار الزينة ﴿إلا ماظهر منها﴾ مما لا يمكنها ستره وإخفاؤه كالكفين عند تناول شيء أو إعطائه أو العينين تنظر بهما وإن كان في اليد خاتم وحناء وفي العينين كحل وكالثياب الظاهرة من خمار على الرأس وعباءة تستر الجسم فهذا معفو عنه إذ لا يمكنها ستره.

وقوله تعالى: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ كانت المرأة تضع خمارها على رأسها مسبلاً على كتفيها فأمرت أن تضرب به على فتحات درعها حتى تستر العنق والصدر ستراً كاملاً وقوله: ﴿ولا يبدين زينتهن[4]﴾ أعاد اللفظ ليرتب عليه مابعده من المحارم الذي يباح للمؤمنة أن تبدي زينتها إليهم وهم الزوج، والأب والجد وان علا وأب الزوج وإن علا وابنها وإن سفل وأبناء الزوج وإن نزلوا، والأخ لأب أو الشقيق أو لأم وأبناؤه وأن نزلوا، وابن الأخ

---

(١) غض البصر واحترام النساء بعدم النظر إليهن معروف في الجاهلية وهذا عنترة بن شداد يقول:

وأغض طرفي مابدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها؟

لم يذكر الله تعالى ما يغض البصر من أجله للعلم به وهو: وجود النساء الأجنبيات، وكذا ما يحفظ منه الفرج، وهو: النظر إليه والزنى واللواط.

(٢) (من) جائز أن تكون زائدة في يغضوا أبصارهم، وجائز أن تكون للتبعيض لجواز النظر إلى المحارم.

(٣) ورد في الأمر بغض البصر في السنة قوله ﷺ (إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وقال لعلي رضي الله عنه (لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية).

(٤) قال ابن عطية: ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية: أن المرأة مأمورة بان لا تُبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ماهو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر لحكم ضرورة حركة فيما لابد منه، أو إصلاح شأن ونحو ذلك فيما ظهر على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه.

وان نزل وسواء كان لأب أو لأم أو شقيق ، وابن الأخت شقيقة أو لأب أو لأم . والمرأة المسلمة من نساء المؤمنات ، وعبدها المملوك لها دون شريك لها فيه والتابع لأهل بيتها من شيخ هرم أصابه الخرف ، وعنين ومعتوه وطفل صغير لم يميز دون البلوغ ممن لا حاجة لهم في النساء لعدم الشهوة عندهم لكبر ومرض وصغر.

رقوله تعالى : ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ نهى تعالى المؤمنات أن يضربن الأرض بأرجلهن التي فيها الخلاخل لكي يعلم أنها ذات زينة في رجلها، فلا يحل لها ذلك ولو لم تقصد إظهار زينتها .

وقـوله تعالى : ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ أمر تعالى المؤمنين والمؤمنات بالتوبة وهي ترك ما من شأنه أن يغضب الله تعالى ، وفعل ما وجب فعله ومن ذلك غض البصر وحفظ الفرج والالتزام بالعفة والستر والتنزه عن الإثم صغيره وكبيره وبذلك يتأهل المؤمنون للفلاح الذي هو الفوز بالنجاة من المرهوب والظفر بالمحبوب المرغوب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ وجوب غض البصر وحفظ الفرج.[١]

٢ ـ وجوب ستر المرأة زينتها ومواضع ذلك ما عدا ما يتعذر ستره للضرورة .

٣ ـ بيان المحارم الذين للمرأة المؤمنة أن تبدي زينتها عندهم بلا حرج .

٤ ـ الرخصة في إظهار الزينة للهرم المخرف من الرجال والمعتوه والطفل الصغير الذي لم يعرف عن عورات النساء شيئاً .

٥ ـ حرمة ضرب ذات الخلاخل الأرض برجلها حتى لا يعلم ماتخفي من زينتها .

٦ ـ وجوب التوبة من كل ذنب وعلى الفور للحصول على الفلاح العاجل والآجل .

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

---

(١) وجوب غض البصر عن النظر إلى المحارم والعورات ويستحب ستر العورة عن الزوج ، لحديث عائشة : (ما رأيت ذلك منه ، ولا رأى ذلك مني) كما يستحب ستر العورة مطلقاً عن الله وملائكته لقوله ﷺ . (فالله أحق أن يستحي منه من الناس : لمن قال له : الرجل يكون خاليا .)

وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا
تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

شــرح الكلمات :

وأنكحوا الآيامى منكم	: أي زوجوا من لا زوجة له من رجالكم ومن لا زوج لها من نسائكم .
والصالحين من عبادكم وإمائكم	: أي وزوجوا أيضاً القادرين والقادرات على أعباء الزواج من عبيدكم وإمائكم .
إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله	: أي إن يكن الأيامى فقراء فلا يمنعكم ذلك من تزويجهم فإن الله يغنهم .
إن الله واسع عليم .	: أي واسع الفضل عليم بحاجة العبد وخلته فيسدها تكرماً .
وليستعفف	: أي وليطلب عفة نفسه بالصبر والصيام .
يبتغون الكتاب	: أي يطلبون المكاتبة من المماليك
إن علمتم فيهم خيراً	: أي قدرة على السداد و الإستقلال عنكم .
وآتوهم من مال الله	: أي اعينوهم بثمن نجم من نجوم المكاتبة من الزكاة وغيرها .
على البغاء إن أردن تحصناً	: أي الزنى تحصناً أي تعففاً وتحفظاً من فاحشة الزنا .

عرض الحياة الدنيا : أي المال.
ومن يكرههن : أي على البغاء «الزنى».
مبينات : للأحكام موضحة لما يطلب منكم فعله وتركه.
ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم : أي قبلكم: أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف وقصة مريم وهما شبيهتان بحادثة الإفك.
وموعظة : الموعظة ما يتعظ به العبد فيسلك سبيل النجاة.

معنى الآيات:

مازال السياق في ذكر الأسباب الواقية من وقوع الفاحشة فأمر تعالى في الآية الأولى من هذا السياق (٣٢) أمر جماعة المسلمين أن يزوجوا الأيامى من رجالهم ونسائهم بالمساعدة على ذلك والإعانة عليه حتى لا يبقى في البلد أو القرية عزبٌ إلا نادراً ولا فرق بين البكر والثيب في ذلك فقال تعالى: ﴿وأنكحوا﴾[١] والأمر للإرشاد ﴿الأيامى﴾ جمع أيّم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة بكراً كان أو ثيباً، ﴿منكم﴾ أي من جماعات المسلمين لا من غيرهم كأهل الذمة من الكافرين. وقوله: ﴿والصالحين من عبادكم[٢] وإمائكم﴾ أي وزوجوا القادرين على مؤونة الزواج وتبعاته، وتكاليفه من مماليككم وقوله: ﴿إن يكونوا فقراء﴾ غير موسرين لايمنعكم ذلك من تزويجهم فقد تكفل الله بغناهم بعد تزويجهم بقوله: ﴿يغنهم[٣] الله من فضله والله واسع عليم﴾ أي واسع الفضل عليم بحاجة المحتاجين وأمر تعالى في هذه الآية من لايجد نكاحاً لانعدام الزوج أو الزوجة مؤقتاً أو انعدام مؤونة الزواج من مهر ووليمة أن يستعفف أي يعف نفسه بالصبر والصيام والصلاة حتى لا يتطلع إلى الحرام فيهلك فقال تعالى: ﴿وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً[٤] حتى يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ أي واسع الفضل مطلق الغنى عليم بحال عباده وحاجة المحتاجين منهم. وقوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ هذه مسألة ثالثة تضمنتها هذه

---

(١) الخطاب للأولياء ولجماعة المسلمين إن عجز الأولياء أي: زوّجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف، والطهر والتكافل الاجتماعي. والنكاح تجرى عليه الأحكام الخمسة إذ يكون واجباً على من خاف العنت وقدر على مؤونته، ويسن لمن لم يخف العنت وقدر على مؤونته ويحرم على من لم يخف العنت ولا مؤونة لديه. ويكره لمن لم يخف العنت ويشغله عن طاعة الله تعالى ويباح لمن لا رغبة له فيه وهو قادر عليه.

(٢) اختلف في هل للسيّد أن يكره عبده أو أمته على التزوّج والذي يبدوان الإكراه يشرع مع خوف الضرر فإن لم يكن ضرر فلا إكرام

(٣) في الآية دليل على تزوج الفقير بل قال عمر: عجباً لفقير لم يطلب الغنى بالزواج لقول الله تعالى: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله).

(٤) نكاحاً: أي طَوْلَ نكاح فحذف المضاف، وفي الحديث الذي رواه النسائي (ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونهم: المجاهد في سبيل الله والناكح الذي يريد العفاف، والمكاتب الذي يريد الأداء).

الآية وهي إذا كان للمسلم عبد وطلب منه أن يكاتبه. وكان أهلا للتحرر بأن يقدر على تسديد مال المكاتبة. ويستطيع أن يستقل بنفسه فعلى مالكه أن يكاتبه، وأن يعينه على ذلك بإسقاط نجم من نجوم الكتابة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم[1] إن علمتم فيهم خيراً[2] وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ أي على الزنا وهي مسألة رابعة تضمنتها هذه الآية وهي أن جاريتين كانتا لعبد الله بن أبي بن سلول المنافق يقال لهما معاذة ومسيكة قد أسلمتا فأمرهما بالزنا لتكسبا له بفرجيهما كما هي عادة أهل الجاهلية قبل الإسلام فشكتا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ أي لأجل مال قليل يعرض لكم ويزول عنكم بسرعة. وقوله: ﴿ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ أي لهن رحيم بهن لأن المكره لا إثم عليه فيما يقول ولا فيما يفعل فامتنع المنافق من ذلك.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٤) ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ أي ولقد أنزلنا إليكم أيها المسلمون آيات أي قرآنيّة مبينات أي موضحات للشرائع والأحكام والآداب فاعملوا بها تكملوا في حياتكم وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم. وقوله: ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي قصصاً من أخبار الأولين كقصة يوسف ومريم عليهما السلام وهما شبيهتان بحادثة الإفك وقوله: ﴿وموعظة للمتقين﴾ وهي ماتضمنته الآيات من الوعيد والوعد والترغيب والترهيب وكونها للمتقين بحسب الواقع وهو أن المتقين هم الذين ينتفعون بالمواعظ دون الكافرين والفاجرين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - انتداب المسلمين حاكمين ومحكومين للمساعدة على تزويج الأيامى من المسلمين أحراراً وعبيداً.

٢ - وجوب الاستعفاف على من لم يجد نكاحاً والصبر حتى ييسر الله أمره.

٣ - عدة الله للفقير إذا تزوج بالغنى.

(١) لا تكون المكاتبة إلا على أنجم متعددة فلا تصح ناجزة ولا على نجم واحد.

(٢) (خيرا) أي: صلاحاً وتقوى وقدرة على الأداء.

٤ ـ تعين مكاتبة العبد إذا توفّرت فيه شروط المكاتبة .
٥ ـ حرمة الزنا بالإكراه أو بالاختيار ومنع ذلك بإقامة الحدود .
٦ ـ صيغة المكاتبة أن يقول السيد للعبد لقد كاتبتك على ثلاثة آلاف دينار منجمة أي مقسطة على ستة نجوم تدفع في كل شهر نجمًا أي قسطاً . على أنك إذا وفيتها في آجالها فأنت حر، وعليه أشهدنا وحرر بتاريخ كذا وكذا .
٧ ـ بيان فضل سورة النور لما احتوته من أحكام في غاية الأهمية .

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) ﴾

شرح الكلمات :

الله نور السموات : أي منورهما فلولاه لما كان نور في السموات ولا في

الأرض، والله تعالى نورٌ[1] وحجابه النور.

مثل نوره : أي في قلب عبده المؤمن.

كمشكاة : أي كوة

كوكب دري : أي مضيء اضاءة الدر الوهاج.

نور على نور : أي نور النار على نور الزيت.

يهدي الله لنوره : أي للإيمان به والعمل بطاعته من يشاء له ذلك لعلمه برغبته وصدق نيته.

ويضرب الله الأمثال : أي ويجعل الله الأمثال للناس من أجل أن يفهموا عنه ويعقلوا مايدعوهم إليه.

في بيوت أذن الله أن ترفع : هي المساجد ورفعها إعلاء شأنها من بناء وطهارة وصيانة.

يوماً تتقلبُ[2] فيه القلوب والأبصار : يوم القيامة.

يرزق من يشاء بغير حساب : أي بلا عَدٍّ ولا كيل ولا وزن وهذا شأن العطاء إن كان كثيراً.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿الله نورُ[3] السموات والأرض﴾ يخبر تعالى أنه لولاه لما كان في الكون نور ولا هداية في السموات ولا في الأرض فهو تعالى منورهما فكتابه نور ورسوله نور أي يهتدي بهما في ظلمات الحياة كما يهتدي بالنور الحسي والله ذاته نور وحجابه نور فكل نور حسي أو معنوي الله خالقه وموهبه وهادٍ إليه.

وقوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ أي كوة في جدار ﴿فيها مصباح المصباح في زجاجة﴾ من بلور، ﴿والزجاجة﴾ في صفائها وصقالتها مشرقة ﴿كأنها كوكب دري﴾ والكوكب الدري هو المضيء المشرق كأنه درة بيضاء صافية، وقوله: ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ أي وزيت

---

(١) في الحديث الصحيح: (اللهم أنت نور السموات والأرض) وفي آخر صحيح وقد سئل ﷺ: هل رأيت ربّك؟ فقال (نور أنّى أراه) وفي آخر (رأيت نوراً).

(٢) تتقلب قلوب الكافرين من الجحد والتكذيب إلى التصديق واليقين وقلوب المؤمنين بين الخوف والرجاء، وأما تقلب الأبصار: فإنها بالنظر هنا وهناك لشدّة الخوف وعظم الهول. هذه قلوب المؤمنين أما قلوب الكافرين فمن الكحل إلى الزرق والعمى بعد الإبصار.

(٣) قال ابن عباس: (الله نور السموات والأرض) يقول: هادي أهل السموات والأرض.

المصباح من شجرة مباركة وهي الزيتونة والزيتونة لا شرقية ولا غربية في موقعها من البستان لا ترى الشمس إلا في الصبـاح، ولا غربية لا ترى الشمس إلا في المساء بل هي وسط البستان تصيبها الشمس في كامل النهار فلذا كان زيتها في غاية الجودة يكاد يشتعل لصفائه، ولو لم تمسه نار، وقوله تعالى: ﴿نور على نور﴾[1] أي نور النار على نور الزيت وقوله تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ يخبر تعالى أنه يهدي لنوره الذي هو الإيمان والإسلام والإحسان من يشاء من عباده ممن علم أنهم يرغبون في الهداية ويطلبونها ويكملون ويسعدون عليها.

وقوله: ﴿ويضرب[2] الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ يخبر تعالى: أنه يضرب الأمثال للناس كهذا المثل الذي ضربه[3] للإيمان وقلب عبده المؤمن وأنه عليم بالعباد وأحوال القلوب، ومن هو أهل للهداية ومن ليس لها بأهل، إذ هو بكل شيء عليم.

وقوله: ﴿في بيوت[4] أذن الله أن ترفع﴾ أي المصباح في بيوت أذن الله أي أمر وَوَصَّى أن ترفع حساً ومعنى وهي المساجد فتطهر من النجاسات ومن اللغو فيها وكلام الدنيا،[5] وتصان وتحفظ من كل ما يخل بمقامها الرفيع لأنها بيوت الله تعالى، وقوله: ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ أي بالأذان والإقـامة والصلاة والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن. وقوله تعالى: ﴿يسبح له فيها﴾ أي لله في تلك البيوت ﴿بالغدو﴾ أي بالصباح ﴿والآصال[6]﴾ أي المساء ﴿رجال﴾ مؤمنون صادقون أبرار متقون ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع﴾ أي لا شراء ولا بيع ﴿عن ذكر الله﴾ فقلوبهم ذاكرة غير غافلة وألسنتهم ذاكرة غير لاهية ولا لاغية ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ أي لا تلهيهم دنياهم عن آخرتهم فهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.

وقوله: ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ أي من شدة الخوف وعظم الفزع والهول وهو يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله﴾

---

(١) أي: اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة إلى ضوء الزيت فهو لذلك نور على نور، واختلطت هذه الأنوار في المشكاة فصارت كأنور ما تكون فكذلك براهين الله تعالى واضحة وهي: برهان بعد برهان. والجملة مستأنفة أي: هذا المذكور هو نور على نور.

(٢) قوله تعالى: (يهدي الله لنوره من يشاء) إلى قوله: (عليم) هي ثلاث جمل معترضة أو تذييل لما سبق من الكلام.

(٣) قال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسّه النار فإن مسّته النار ازداد ضوءه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاء العلم زاده هدىً على هدىً ونوراً على نور.

(٤) كون (في بيوت) متعلقاً بقوله (مصباح) أولى وأوضح من تعلقه بيسبح له) وإن قيل: كيف يعود إلى المصباح، وهو واحد والبيوت جمع؟ قيل: هذا كقوله: (وجعل فيهن نوراً) وهو في سماء واحدة لا في كل سماء وإنما هو تلوين للخطاب.

(٥) لقول الرسول ﷺ للذي أنشد الضالة: (لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له) يريد الصلاة والذكر وقراءة القرآن وتعلّم العلم.

(٦) الآصال: جمع أصيل وهو المساء.

أي إنهم فعلوا ما فعلوا من التسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة معرضين عن كل ما يشغلهم عن عبادة ربهم فتأهلوا بذلك للثواب العظيم ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله فوق ما استحقوه بأعمالهم وتقواهم لربهم، والله يرزق من يشاء بغير حساب وذلك لعظيم فضله وسابق رحمته فيعطي بدون عَد ولا كيل ولا وزن وذلك لعظم العطاء وكثرته.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - كل خير وكل نور وكل هداية مصدرها الله تعالى فهو الذي يطلب منه ذلك.

٢ - استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان والفهوم.

٣ - الإشارة إلى أن ملة الإسلام لا يهودية ولا نصرانية، لا اشتراكية ولا رأسمالية. بل هي الملة الحنيفية من دان بها هدى ومن كفرها ضل.

٤ - وجوب تعظيم بيوت الله تعالى «المساجد» بتطهيرها[1] ورفع بنيانها وإخلائها إلا من ذكر الله والصلاة وطلب العلم فيها.

٥ - ثناء الله تعالى على من لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ

---

(١) أوّل من أنار مسجد رسول الله ﷺ: تميم الداري، إذ أتى بقناديل من الشام فعلّقها في مسجد رسول الله ﷺ وأسرجها فرآها الرسول ﷺ فدعا بقوله ﷺ (نورت الإسلام نوّر الله عليك في الدنيا والآخرة).

﴿عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

شـــرح الكلمـات :

كسراب بقيعة : السراب شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء، والقيعة جمع قاع وهو ما انبسط من الأرض.

الظمآن : العطشان.

بحر لجي : أي ذو لجج واللجة معظم الماء وغزيره كما هي الحال في المحيطات.

يغشاه موج : يعلوه ويغطيه موج آخر.

يسبح له : ينزه ويقدس بألفاظ التسبيح والتقديس كسبحان الله ونحوه والصلاة من التسبيح.

صافات : باسطات أجنحتها.

قد علم صلاته : أي كل من في السموات والأرض قد علم الله صلاته وتسبيحه كما أن كل مسبح ومصل قد علم صلاة وتسبيح نفسه.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب[1]﴾ لما بين تعالى حال المؤمنين وأنه تعالى وفاهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون وزادهم من فضله ذكر هنا حال الكافرين وهو أن أعمالهم في خسرانها وعدم الانتفاع بها كسراب وهو شعاع أبيض يرى في نصف النهار وكأنه ماء ﴿بقيعة﴾ أي بقاع من الأرض وهو الأرض المنبسطة. ﴿يحسبه الظمآن ماء﴾ أي يظنه العطشان ماء وما هو بماء ولكنه سراب خادع ﴿حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ لأنه سراب لا غير. فيا للخيبة، خيبة ظمآن يقتله العطش فرأى سراباً فجرى وراءه يظنه ماء فإذا به لم يجد الماء، ووجد الحق تبارك وتعالى فحاسبه على كل أعماله وهي في جملتها أعمال إجرام وشر وفساد فوفاه إياها فخسر خسراناً مبيناً، ﴿والله سريع الحساب﴾ فما هي إلا لحظات والكافر في سواء الجحيم. هذا مَثَلٌ تضمنته الآية الأولى (٣٩) ومثل آخر تضمنته الآية الثانية (٤٠)

---

(١) سمي السراب سراباً: لأنه يسرب كالماء في جريانه، والسراب يلتصق بالأرض، والآل كالسراب إلاّ أنه يكون كالماء ولكنه مرتفع بين السماء والأرض قال الشاعر:

وكنت كمهريق الذي في سقائه   لرقراق آل فوق رابية صَلْدِ

وهو مثل مضروب لضلال الكافر وحيرته في حياته وما يعيش عليه من ظلمة الكفر وظلمة العمل السيىء والإعتقاد الباطل وظلمة الجهل بربه ومايريده منه، وما أعده له قال تعالى: ﴿أوكظلمات[1] في بحر[2] لجي﴾ أي ذي لجج من الماء ﴿يغشاه﴾ أي يعلوه ﴿موج من فوقه موج﴾ أي من فوق الموج موج آخر ﴿من فوقه سحاب﴾. والسحاب عادة مظلم فهي ﴿ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ لشدة الظلمة هذه حال الكافر في هذه الحياة الدنيا، وهي ناتجة عن إعراضه عن ذكر ربه وتوغله في الشر والفساد وقوله تعالى: ﴿ومن[3] لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾. أعلم تعالى عباده أن النور له وبيده فمن لم يطلبه منه حرمه وعاش في الظلمات والعياذ بالله.

وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات﴾ أي ألم ينته إلى علمك يارسولنا أن الله تعالى يسبح له من في السموات من الملائكة والأرض أي ومن[4] في الأرض بلسان القال والحال معاً والطير[5] صافات أي باسطات أجنحتها تسبح الله تعالى بمعنى تنزهه بألفاظ التنزيه كسبحان الله. فإن امتنع المشركون أهل الظلمات من الإيمان بالله وعبادته وتوحيده فيها فإن الله تعالى يسبح له الخلق كله علويه وسفليه فالكافر وإن لم يسبح بلسانه فحاله تسبح[6] فخلقه وتركيبه وأقواله وأعماله كلها تسبح الله خالقه فهي شاهدة على قدرة الله وعلمه وحكمته وأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله تعالى: ﴿كل﴾ أي ممن في السموات والأرض والطير قد علم الله صلاته وتسبيحه كما أن كلًا منهم قد علم صلاته لله تعالى وتسبيحه له ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي والله عليم بأفعال عباده، ويجزيهم بها وهو على ذلك قدير إذ له ملك السموات والأرض وإليه المصير أي مصير كل شيء إليه تعالى فهو الذي يحكم فيه بحكمه العادل.

---

(١) قال الجرجاني الآية الأولى في ذكر أعمال الكفار، والثانية في ذكر كفرهم ونسق الكفر على الأعمال لأن الكفر أيضاً من أعمالهم.

(٢) قيل: المراد بالظلمات: أعمال الكفار، وبالبحر اللّجي: قلب الكافر، وبالموج فوق الموج: ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب: الرين والختم والطبع على قلبه، ولذا قال أبيّ بن كعب: الكافر يتقلّب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة، وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى ظلمة النار.

(٣) قيل: هذه الآية نزلت في شيبة بن ربيعة أو في ربيعة نفسه إذ كلاهما ترهّب وطلب الدين في الجاهلية ولما جاء الإسلام كفرا به ولم يدخلا فيه وماتا كافرين.

(٤) أي: من الجن والإنس.

(٥) قرىء (والطير) بالرفع عطفاً على من. وقرىء بالنصب على نحو: قمت وزيداً أي معه وهو أجود من الرفع ولو قلت قمت أنا وزيد لكان الرفع أجود.

(٦) تسبيح الحال هو ما يُرى من علم الله تعالى وقدرته في آثار الصنعة في المخلوقات، فالخالق المدبر وحده لا يكون إلاّ إلها واحداً لا شريك له.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني البعيدة إلى الأذهان.

٢ ـ بيان خسران الكافرين في أعمالهم وحياتهم كلها.

٣ ـ بيان حال الكافرين في هذه الدنيا وأنهم يعيشون في ظلمات الجهل والكفر والظلم.

٤ ـ تقرير حقيقة وهي أن من لم يجعل الله له نوراً في قلبه لن يكن له نور في حياته كلها.

٥ ـ بيان أن الكون كله يسبح لله كقوله تعالى: ﴿يسبح له ما في السموات وما في الأرض﴾ وقوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾

شـرح الكلمـات :

يزجي سحاباً : أي يسوق برفق ويسر.

ثم يؤلف بينه : أي يجمع بين أجزائه وقطعه.

ثم يجعله ركاماً : أي متراكماً بعضه فوق بعض.

الودق : أي المطر.

يخرج من خلاله	: أي من فرجه ومخارجه .
من جبال فيها من برد	: أي من جبال من برد في السماء والبرد حجارة بيضاء كالثلج .
فيصيب به من يشاء	: أي فيصيب بالبرد من يشاء .
سنا برقه	: أي لمعانه .
يذهب بالأبصار	: أي الناظرة إلَيْهَ
لعبرة	: أي دلالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه ووجوب توحيده .
كل دابة من ماء	: أي حيوان من نطفة .
على بطنه	: كالحيات والهوام .
على رجلين	: كالإنسان والطير.
على أربع	: أي كالأنعام والبهائم .
إلى صراط مستقيم	: أي إلى الإسلام .

معنى الآيات :

مازال السياق في عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي الموجبة لله تعالى العبادة دون سواه فقال تعالى : ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ أي ألم ينته إلى علمك يارسولنا أن الله يزجي[1] سحاباً أي يسوقه برفق وسهولة ﴿ثم يؤلف﴾ أي يجمع بين أجزائه فيجعله ركاماً أي[2] متراكماً بعضه على بعض ﴿فترى الودق[3]﴾ أي المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي من فتوقه وشقوقه . والخلال جمع خلل كجبال جمع جبل وهو الفتوق بين أجزاء السحاب وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم . وقوله : ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ أي ينزل برداً من جبال البرد المتراكمة في السماء فيصيب بذلك البرد من يشاء فيهلك به زرعه أو ماشيته ، ويصرفه عمن يشاء من عباده فلا يصيبه شيء من ذلك وهذا مظهر آخر من مظاهر

---

(١) ذكر تعالى من حججه وبراهينه على ألوهيته شيئاً آخر وهو: سوق السحاب وتكوين المطر وإنزاله ، وإزجاء السحاب ، سوقه يقال : البقرة ازجت ولدها : إذا ساقته أمامها .

(٢) يقال : ركمه يركمه ركما ، إذا جمعه وألقى بعضه على بعض ، والركام المتراكم .

(٣) الودق : إنه البرق ، وكونه المطر: أولى ومنه قول الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

القدرة واللطف الإلهي وقوله: ﴿يكاد سنا برقه﴾[1] أي يقرب لمعان البرق الذي هو سناه يذهب بالأبصار التي تنظر إليه أي يخطفها بشدة لمعانه.

وقوله تعالى ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بأن يظهر هذا ويخفي هذا فإذا ظهر النهار اختفى الليل، وإذا ظهر الليل اختفى النهار فيقلب أحدهما على الآخر فيخفيه ويستره به وقوله: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ أي إن في إنزال البرد ولمعان البرق وتقليب الليل والنهار لعظة عظيمة لأولى البصائر تهديهم إلى الإيمان بالله وجلاله وكما له فيعبدونه ويوحدونه مُحِبّين له معظمين راجعين خائفين إن هذه ثمرة الهداية هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٤٣) والثانية (٤٤) أما الآية (٤٥) فقد اشتملت على أعظم مظهر من مظاهر القدرة الإلهية فقال تعالى: ﴿والله خالق كل دابة﴾[2] أي من إنسان وحيوان ﴿من[3] ماء﴾ أي نطفة من نطف الإنسان والحيوان، ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والثعابين والأسماك، ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنسان والطير، ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالأنعام والبهائم، وقوله: ﴿يخلق الله مايشاء﴾ إذْ بعض الحيوانات لها أكثر من أربع وقوله: ﴿إن الله على كل شيء[4] قدير﴾ أي على فعل وإيجاد مايريده قدير لايعجزه شيء فأين الله الخالق العليم الحكيم من تلك الأصنام والأوثان التي يؤلهها الجاهلون من أهل الشرك والكفر؟

وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ أي واضحات لأجل هداية العباد إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهي هذه الآيات التي اشتملت عليها سورة النور وغيرها من آيات القرآن الكريم فمن آمن بها ونظر فيها وأخذ بما تدعو إليه من الهدى اهتدى، ومن أعرض عنها فضل وشقى فلا يلومن إلا نفسه، ﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايته ممن رغب في الهداية وطلبها وسلك لها مسالكها ﴿إلى صراط مستقيم﴾ ألا وهو الإسلام طريق الكمال والسعادة في الحياتين اللهم اجعلنا من أهله إنك قدير.

---

(١) السنا مصدر : لمعان البرق والسَّناء، ممدود: الرِّفعة قال: ابن دريد:

زال السنا عن ناظري وزال عن شرف السناء

فالسُّنا الأول: الرفعة والثاني: ضوء البرق، وجملة: (يكاد سنا برقه) وصف لـ: (سحاباً).

(٢) فخرج الملائكة والجن إذ الملائكة خلقوا من نور والجن من النار.

(٣) تنكير ماء: لإرادة النوعية تنبيها على اختلاف صفات الماء لكل نوع من الدواب.

(٤) هذه الجملة ذكرت تذييلا وتعليلاً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات الإيمان والتقوى.

٢ - بيان كيفية نزول المطر والبرد.

٣ - مظاهر لطف الله بعباده في صرف البرد عن الزرع والماشية وبعض عباده.

٤ - مظاهر القدرة والعلم في تقليب الليل والنهار على بعضهما بعضاً.

٥ - بيان أصناف المخلوقات في مشيها على الأرض بعد خلقها من ماء وهو مظهر العلم والقدرة.

٦ - امتنان الله تعالى على العباد بإنزاله الآيات المبينات للهدى وطريق السعادة والكمال.

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ[1] فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

---

(١) قرأ حفص: (ويتّقْه) بإسكان القاف على نيّة الجزم لأن مَن: شرطية جازمة، وكسرها الباقون: لأن جزم المعتل بحذف آخره وأسكن الهاء بعض واختلس كسرتها قالون عن نافع، وأشبع الكسرة الباقون.

شرح الكلمات :

ويقولون	: أي المنافقون .
آمنا بالله وبالرسول	: أي صدقنا بتوحيد الله وبنبوة الرسول محمد ﷺ .
ثم يتول فريق منهم	: أي يعرض .
إذا فريق منهم معرضون	: أي عن المجيء إلى الرسول ﷺ .
مذعنين	: أي مسرعين منقادين مطيعين .
في قلوبهم مرض	: أي كفر ونفاق وشرك .
أم ارتابوا	: أي بل شكوا في نبوة الرسول ﷺ .
أن يحيف الله عليهم ورسوله	: أي في الحكم فيظلموا فيه .
إنما كان قول المؤمنين	: هو قولهم سمعنا وأطعنا أي سمعاً وطاعة .
المفلحون	: أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة .

معنى الآيات :

بعد عرض تلك المظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته، والموجبة للإيمان بالله ورسوله ، وما عند الله من نعيم مقيم ، وما لديه من عذاب مهين فاهتدى عليها من شاء الله هدايته وأعرض عنها من كتب الله شقاوته من المنافقين الذين أخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا﴾ أي صدقنا بالله ربًّا وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً ، وأطعناهما[1] ﴿ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك﴾ أي من بعد تصريحهم بالإيمان والطاعة يقولون معرضين بقلوبهم عن الإيمان بالله وآياته ورسوله ، ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ فأكذبهم الله في دعوة إيمانهم هذا مادلت عليه الآية الأولى (٤٧) وقوله تعالى : ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله[2] ليحكم[3] بينهم﴾ أي في قضية من قضايا دنياهم ، ﴿إذا فريق منهم معرضون﴾ أي فاجأك فريق منهم بالإعراض عن التحاكم إلى الرسول ﷺ وقوله : ﴿وإن يكن لهم الحق﴾ أي وإن يكن لهم في الخصومة التي بينهم وبين غيرهم ﴿يأتوا إليه﴾ أي إلى رسول الله ﴿مذعنين﴾ أي منقادين طائعين أي لعلمهم أن الـرسـول يقضي بينهم بالحق وسوف يأخذون حقهم وافياً وقوله تعالى : ﴿أفي

---

(١) قولهم ، هذا قول باطل إنهم ما آمنوا ولا أطاعوا وإنما هو قول المنافقين والله شهد إنهم لكاذبون .

(٢) قيل : إنّ هذه الآية نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي كانت بينهما أرض فقال اليهودي : هيا نتحاكم إلى محمد ﷺ وقال بشر المنافق لا إن محمداً يحيف علينا فلنحتكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي فنزلت .

(٣) لم يقل ليحكما لأن الذي يحكم بينهما هو الرسول ﷺ وإنما قدم اسم الله تعظيما ولأن مادة الحكم من الله والرسول ﷺ مبيّن ومنفّذ لا غير.

قلوبهم مرض[1]﴾ أي بل في قلوبهم مرض الكفر والنفاق. ﴿أم ارتابوا﴾ أي بل ارتابوا أي شكوا في نبوة رسول الله ﷺ. ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ لا، لا، ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾، ولما كانوا ظالمين يخافون حكم الله ورسوله فيهم لأنه عادل فيأخذ منهم ما ليس لهم ويعطيه لمن هو لهم من خصومهم وقوله تعالى: ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ أي الصادقين في إيمانهم ﴿إذا دعوا الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي لم يكن للمؤمنين الصادقين من قول يقولونه إذا دعوا إلى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم إلا قولهم: سمعنا وأطعنا فيجيبون الدعوة ويسلمون بالحق قال تعالى في الثناء عليهم ﴿وأولئك هم المفلحـون﴾ أي النـاجحون في دنياهم وآخرتهم دون غيرهم من أهل النفاق. وقوله تعالى: في الآية الكريمة الأخيرة (٥٢) ﴿ومن يطع الله ورسوله[2]﴾ أي فيما يأمران به وينهيان عنه، ﴿ويخش الله﴾ أي يخافه في السر والعلن، ﴿ويتقه﴾ أي يتق مخالفته فلا يقصر في واجب ولا يَغْشَى محرمـاً، ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ فقصر الفوز عليهم أي هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامـة المنعمـون في جنـات النعيم مع النبيين والصـديقـين والشهـداء والصالحين. اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم إنك ربنا وربهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة.

٢ ـ من دُعِيَ إلى الكتاب والسنة فأعرض فهو منافق معلوم النفاق.

٣ ـ اتخاذ قوانين وضعية للتحاكم إليها دون كتاب الله وسنة رسوله آية الكفر والنفاق.

٤ ـ فضل طاعة الله ورسوله وتقوى الله عز وجل وأن أهلها هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنان.

---

(١) الاستفهام للتوبيخ والذم وهو أبلغ في التوبيخ وأشد في الذم من مجرّد الإخبار كما في المدح أيضاً أبلغ وأشد فيه، وشاهده قول جرير في المدح:

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

(٢) حكي أنّ رجلا من دهاقين الروم أسلم فقيل له هل لإسلامك سبب؟ قال: نعم إني قد قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيراً من كتب الأنبياء فسمعت أسيراً يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما كتب في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت. وقيل له ما هي؟ قال: قوله تعالى: (ومن يطع الله) في الفرائض (ورسوله) في السـنن (ويخشى الله) فيما مضى من عمره (ويتقه) فيما بقي من عمره (فأولائك هم الفائزون) والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة. فقال عمر قال النبي ﷺ: (أوتيت جوامع الكلم).

۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

شــرح الكلمات :

وأقسموا بالله جهد أيمانهم : أي حلفوا بالله بالغين غاية الجهد في حلفهم .

لئن أمرتهم : أي بالخروج إلى الجهاد.

طاعة معروفة : أي طاعة معروفة للنبي فيما يأمركم وينهاكم خير من إقسامكم بالله .

فإن تولوا : أي فإن تتولوا أي تعرضوا عن الطاعة .

عليه ماحمل : اي من ابلاغ الرسالة وبيانها بالقول والعمل .

وعليكم ما حملتم : أي من وجوب قبول الشرع والعمل به عقيدة وعبادة وحكما.

وإن تطيعوه تهتدوا : أي وإن تطيعوا الرسول في أمره ونهيه وإرشاده تهتدوا إلى خيركم .

ليستخلفنهم : أي يجعلهم خلفاء لغيرهم فيها بأن يُدِيلَ لهم من أهلها فيسودون فيها ويحكمون .

وليمكنن لهم دينهم : أي بأن يظهر الإسلام على سائر الأديان ويحفظه من الزوال.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر أحوال المنافقين فأخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وأقسموا الله جهد أيمانهم﴾[1] أي أقسموا للرسول ﷺ مبالغين في ذلك حتى بلغوا غاية الجهد قائلين لئن أمرتنا بالخروج إلى الجهاد لنخرجن معكم. وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم: ﴿لاتقسموا﴾[2] أي ما هناك حاجة إلى الحلف وتأكيده، وإنما هي طاعة منكم معروفة لنا تغنيكم عن الأيمان وقوله تعالى: ﴿إن الله خبيرٌ* بما تعملون﴾ تأنيب لهم وتأديب حيث أخبرهم تعالى بأنه مطلع على أسرارهم ومايقولونه ويعملونه في الخفاء ضد الرسول والمؤمنين ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في كل ما يأمران به وينهيان عنه، ﴿ فإن تولوا﴾[3] أي تعرضوا عن الطاعة وترفضوها، فإنما على الرسول ماحمل من البلاغ والبيان، وعليكم ما حملتم من وجوب الانقياد والطاعة، ومن أخل بواجبه الذي أنيط به فسوف يلقى جزاءه وافياً عند ربه وقوله تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ هذه الجملة عظيمة الشأن جليلة القدر للمؤمن أن يحلف بالله ولا يحنث على أن من أطاع رسول الله في أمره ونهيه لن يضل أبداً ولن يشقى فالهداية إلى كل خير كامنة في طاعة رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ أي ليس على الرسول هداية القلوب، وإنما عليه البلاغ المبين لا غير فلا تلحق الرسول تبعة من عصى فَضَلَّ وهَلَك.

وقوله تعالى في الآية (٥٥) ﴿وعد[4] الله الذين آمنوا منكم﴾أي صدقوا الله والرسول(وعملوا الصالحات﴾ فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وعدهم بأن يستخلفهم في الأرض أي يجعلهم خلفاء حاكمين في أهلها سائدين سكانها استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم من بني إسرائيل حيث أجلى الكنعانيين والعمالقة من أرض القدس وورثها بني إسرائيل وقول: ﴿وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ وهو الإسلام

---

(١) (جهد ايمانهم) أي: طاقة ما قدروا أن يحلفوا. والجهد: بفتح الهاء: منتهى الطاقة وهو: منصوب إمّا على الحال من أقسموا. أو على المفعول المطلق أي: جهدوا أيمانهم جهدا.

(٢) هنا تم الكلام، ثم استئنف على تقدير: طاعة معروفة أولى من أيمانكم هذه المبالغين فيها.

(٣) (فإن تولوا): أصله: تتولوا حذفت التاء الأولى تخفيفاً. وهو حذف شائع وسائغ.

(٤) قال مالك: هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل: هذه الآية تضمنت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وهو كذلك وصدق ذلك قوله ﷺ: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة) وفي الآية دليل نبوة الرسول ﷺ وصحة دينه، إذ تضمنت الآية إخباراً بالغيب فكان كما أخبر تعالى به.

* جملة تذيلية تحمل التهديد لهم إذ هم كاذبون في ايمانهم وغير صادقين في أقوالهم وأعمالهم.

فيظهره على الدين كله ويحفظه من التغيير والتبديل والزوال إلى قرب الساعة وقوله تعالى: ﴿وليبدلنهم من[1] بعد خوفهم أمناً﴾ إذ نزلت هذه الآية والمسلمون خائفون بالمدينة لايقدر أحدهم أن ينام وسيفه بعيد عنه من شدة الخوف من الكافرين والمنافقين وتألب الأحزاب عليهم ولقد أنجز تعالى لهم ماوعدهم فاستخلفهم وأمكن لهم وبدلهم بعد خوفهم أمناً فلله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿يعبدونني[2] لا يشركون بي شيئاً﴾ هذا ثناء عليهم، وتعليل لما وهبهم وأعطاهم يعبدونه لا يشركون به شيئاً وقد فعلوا ومازال بقاياهم من الصالحين إلى اليوم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً اللهم اجعلنا منهم. وقوله تعالى: ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك[3] هم الفاسقون﴾ وعيد وتهديد لمن كفر بعد ذلك الإنعام العظيم والعطاء الجزيل فأولئك هم الفاسقون عن أمر الله الخارجون عن طاعته المستوجبون لعذاب الله ونقمته. عياذا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ مشروعية الإقسام بالله تعالى وحرمة الحلف بغيره تعالى.

٢ ـ عدم الثقة في المنافقين لخلوهم من موجب الصدق في القول والعمل وهو الإيمان.

٣ ـ طاعة رسول الله موجبة للهداية لما فيه من سعادة الدارين ومعصيته موجبة للضلال والخسران.

٤ ـ صدق وعد الله تعالى لأهل الإيمان وصالح الأعمال من أصحاب رسول الله ﷺ.

٥ ـ وجوب الشكر على النعم بعبادة الله تعالى وحده بما شرع من أنواع العبادات.

٦ ـ الوعيد الشديد لمن أنعم الله عليه بنعمة أمن ورخاء وسيادة وكرامة فكفر تلك النعم ولم يشكرها فَعَرَّضها للزوال.

---

(١) فإن قيل: وأين الأمن وقد قتل عمر وعثمان وعلي غيلة؟ فالجواب: ليس الأمن مانعا من الموت فالموت حتم مع الأمن ومع الخوف لأنها آجال محدودة لا تزيد ولا تنقص:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد

وأخرج مسلم قوله ﷺ (والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون).

(٢) الجملة يصح أن تكون حالاً أي: في حال عبادتهم الله تعالى بالإخلاص والعلم. وجائز أن تكون مستأنفة تحمل الثناء عليهم بعبادة ربهم تعالى وحده.

(٣) المراد بالكفر: كفران النعم، وقد حصل هذا بعد القرون المفضلة حيث فسدت العقائد وتمزقت الروابط، وأهمل الدين، وسلب الله ماأعطى ، وفي هذا دليل آخر على صحة القرآن والنبوة والإسلام إذ هذه أخبار غيب تمت كما أعلنت.

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

شـرح الكلمـات:

وأقيموا الصلاة : أي أدوها أداءاً كاملاً تاماً مراعين فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها حتى تثمر الزكاة والطهر في نفوسكم.

وآتوا الزكاة : أي المفروضة من المال الصامت كالذهب والفضة والحرث والناطق كالأنعام من إبل وبقر وغنم.

وأطيعوا الرسول : أي محمداً ﷺ في أمره ونهيه والأخذ بإرشاده وتوجيهه.

لعلكم ترحمون : أي رجاء أن يرحمكم ربكم في دنياكم وآخرتكم فلايعذبكم فيهما

معجزين في الأرض: أي معجزين الله تعالى بحيث لايدركهم ولا ينزل بهم نقمته وعذابه.

ولبئس المصير : أي النار إذ هي المأوى الذي يأوون إليه ويصيرون إليه.

معنى الايتين:

يأمر تعالى عباده المؤمنين من أصحاب الرسول الكريم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ في أمره ونهيه وإرشاده وتوجيهه وذلك رجاء أن يرحموا في الدارين، ولا يعذبوا فيهما. وهذا وإن كان موجهاً ابتداءً إلى أصحاب الرسول فإنه عام بعد ذلك فيشمل كل مؤمن ومؤمنة في الحياة وقوله ﴿لا تحسبن[1] الذين كفروا معجزين[2] في الأرض﴾ هذا خطاب للرسول ﷺ ينهاه ربه تعالى أن يظن أن الذين كفروا مهما كانت قوتهم سيفوتون الله تعالى ويهربون مما أراد بهم من خزي وعذاب، لا، لابل سيخزيهم ويذلهم ويسلط عليهم، وقد فعل ﴿ومأواهم النار﴾ يوم القيامة ﴿ولبئس المصير﴾ نار جهنم يصيرون إليها.

---

(١) الآية تحمل تسلية للنبي ﷺ وقرئت بالتاء: (تحسبن) خطاب للنبي ﷺ ولكل ذي أهلية من أصحابه والمؤمنين والجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائيا وقرئت الآية: (ولا يحسبن) بالياء وهي قراءة ضعيفة إذ حسب هنا بمعنى ظن ولم يذكر لها إلا مفعولا واحداً وهي تنصب مفعولين.

(٢) المعجز: الذي يعجز غيره أي: يجعله عاجزاً عن غلبه، والأرض في الآية هي أرض الدنيا هذه.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ - وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول ﷺ للحصول على رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة في الدنيا بالنصر والتمكين والأمن والسيادة وفي الآخرة بدخول الجنة .

٢ - تقرير عجز الكافرين وأنهم لن يفوتوا الله تعالى مهما كانت قوتهم وسينزل بهم نقمته ويحل عليهم عذابه .

٣ - بيان مصير أهل الكفر وأنه النار والعياذ بالله تعالى .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾

شـــرح الكلمات :

ليستأذنكم : أي ليطلب الاذن منكم في الدخول عليكم .
ملكت أيمانكم : من عبيد وإماء .
لم يبلغوا الحلم منكم : أي سن التكليف وهو وقت الاحتلام خمسة عشر سنة فما فوق .
تضعون ثيابكم : أي وقت القيلولة للإستراحة والنوم .
ثلاث عورات لكم : العورة ما يستحي من كشفه ، وهذه الأوقات الثلاثة ينكشف فيها الإنسان في فراشه فكانت بذلك ثلاث عورات .
بعدهن : أي بعد الأوقات الثلاثة المذكورة .
طوافون عليكم : أي للخدمة .
بعضكم على بعض : أي بعضكم طائف على بعض .
فليستأذنوا : أي في جميع الأوقات لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين .
والقواعد من النساء : أي اللاتي قعدن عن الحيض والولادة لكبر سنهن .
أن يضعن ثيابهن : كالجلباب والعباءة والقناع والخمار .
غير متبرجات بزينة : أي غير مظهرات زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال .
وأن يستعففن خير لهن : بأن لايضعن ثيابهن خير لهن من الأخذ بالرخصة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾[1] روى في نزول هذه الآية أن النبي ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب يدعوه له فوجده نائماً في وقت الظهيرة فدق الباب ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء فقال عندها عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن ، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد أنزلت فخر ساجداً شكراً لله تعالى .

فقوله تعالى : ﴿يا أيها الذي آمنوا﴾ هو نداء لكل المؤمنين في كل عصورهم وديارهم . وقوله ﴿ليستأذنكم الذي ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ أي علموا أطفالكم وخدمكم الاستئذان عليكم في هذه الأوقات الثلاثة وأمروهم بذلك . وقوله : ﴿ثلاث مرات﴾ هي المبينة في قوله : ﴿من قبل صلاة

---

(١) قيل : إنّ الآية منسوخة وقيل : هي لتندب أو هي واجبة إذ كانوا لا أبواب لغرفهم والصحيح أنها محكمة وأن الاستئذان من هؤلاء المذكورين واجب وسواء كان العبد وغداً أو ذا منظر حسن .
(٢) (ملكت أيمانكم) هم العبيد والذكر والأنثى في هذا سواء .

الفجـر﴾ وهي ساعـات النـوم من الليل، ﴿وحـين تضعـون ثيابكم من الظهيرة﴾ وهي القيلولة، ﴿ومن بعد صلاة[1] العشاء﴾ وهي بداية نوم الليل. وقوله: ﴿ثلاث عورات لكم﴾[2] أي هي منطقة انكشاف العورة فيها فاطلق عليها اسم العورة والعورة مايستحي من كشفه وقوله: ﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أي ولا على الأطفال والخدم ﴿جناح بعدهن﴾ أي بعد المرات الثـلاث وقـولـه: ﴿طـوافـون عليكم﴾ أي يدخلون ويخرجون عليكم للخدمة. ﴿بعضكم على بعض﴾ أي بعضكم يدخل على بعض للخدمة فلا غنى عنه فلذا فلا حرج عليكم في غير الأوقات الثلاثة.

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ أي كهذا التبيين الذي بين لكم حكم الاستئذان يبين الله لكم الآيات المتضمنة للشرائع والأحكام والآداب فله الحمد وله المنه وقوله: ﴿والله عليم﴾ أي بخلقه ومايحتاجون إليه في إكمالهم وإسعادهم ﴿حكيم﴾ فيما يشرع لهم ويفرض عليهم.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٥٩) ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ أي إذا بلغ الطفل سن الاحتلام وهو البلوغ واحتلم فعليه أن لايدخل على غير محارمه إلا بعد الإستئذان كما يفعل ذلك الرجال من قبله إذ قد أصبح بالبلوغ الذي علامته الإحتلام أو بلوغ خمس عشرة سنة فأكثر أصبح رجلاً تماماً فعليه أن لايدخل بيت أحد إلا بعد أن يستأذن هذا معنى قوله تعـالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ وهم الرجال وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ أي المتضمنة لأحكامه وشرائعه ﴿والله عليم﴾ بخلقه ومايصلح لهم ﴿حكيم﴾ في شرعه وهذه حال توجب طاعته تعالى فيما يأمر به وينهى عنه وقوله تعالى: ﴿والقواعد[3] من النساء اللاتي لا يرجون[4] نكاحاً[5]﴾ أي والتي قعدت عن الحيض والولادة لكبر سنها بحيث أصبحت لا ترجو نكاحاً ولا يرجى منها ذلك فهذه ليس عليها إثم ولا حرج في أن تضع خمارها من فوق رأسها، أو عباءتها من فوق ثيابها التي على

---

(١) يكره تسمية العشاء بالعتمة. روى مسلم أنّ النبي ﷺ قال: (لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ألا إنها العشاء وهم معتمون بالإبل وفي رواية فإنها في كتاب الله العشاء وإنها أي الأعراب تعتم بحلاب الإبل وفي الصحيح (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل).

(٢) العورة: في الأصل الخلل والنقص ثم أطلقت على ما يكره انكشافه والنظر إليه.

(٣) المراد أنّ الأطفال إذا بلغوا الحلم تغيّر حكمهم في الاستئذان فأصبحوا كالرجال في الاستئذان على دخول بيوت الغير كما تقدم في آية الاستئذان (يا أيها الذين آمنوا إذا دخلتم بيوتاً..)، الآية.

(٤) القواعد: جمع قاعد بدون تاء وهي: الآيسة من الحيض والحمل.

(٥) هذه الجملة متضمنة وصفاً كاشفاً للقواعد وليس قيداً.

جسمها حال كونها غير متبرجة[1] أي مظهرة زينة لها كخضاب اليدين والأساور في المعصمين والخلاخل في الرجلين، أو أحمر الشفتين، وما إلى ذلك مما هو زينة يجب ستره وقوله تعالى: ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾ أي ومن لازمت خمارهـا وعجـارها ولم تظهر للأجانب كاشفة وجهها ومحاسنها خير لها حالاً ومآلاً، وحسبها أن يختار الله لها فما اختاره لها لن يكون إلا خيراً في الدنيا والآخرة فعلى المؤمنات أن يخترن ما اختار الله لهن. وقوله: ﴿والله سميع عليم﴾ أي سميع لأقوال عباده عليم بأعمالهم وأحوالهم فَليتق فيطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - وجوب تعليم الآباء والسادة والأطفال والخدم الإستئذان عليهم في الأوقات الثلاثة المذكورة والمعبر عنها بالعورات.

٢ - وجوب استئذان الأولاد إذا احتلموا الاستئذان على من يريدون الدخول عليه في بيته لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين.

٣ - بيان رخصة كشف الوجه لمن بلغت سناً لا تحيض فيها ولا تلد للرجال الأجانب ولو أبقت على سترها واحتجابها لكان خيراً لها كما قال تعالى: ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾.

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟

(١) ورد وعيد شديد للمتبرجات فقد روى مسلم أنّ النبي ﷺ قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا..).

جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

شـرح الكلمات:

الحرج : الضيق والمراد به هنا الإثم أي لا إثم على المذكورين في مؤاكلة غيرهم.

أو ما ملكتم مفاتحه : أي مما هو تحت تصرفكم بالأصالة أو بالوكالة كوكالة على بستان أو ماشية.

أو صديقكم : أي من صدقكم الود وصدقتموه.

جميعاً أو أشتاتاً : أي مجتمعين على الطعام أو متفرقين.

من عند الله : لأنه هو الذي شرعها وأمر بها، وما كان من عند الله فهو خير عظيم.

طيبة : أي تطيب بها نفس المسلم عليه.

معنى الآيات:

مازال السياق في هداية المؤمنين وبيان مايكملهم ويسعدهم ففي هذه الآية الكريمة. رفع تعالى عنهم حرجاً عظيماً كانوا قد شعروا به فآلمهم وهوأنهم قد رأوا أن الأكل مع ذوي العاهات وهم العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة قد يترتب عليه أن يأكلوا ما لا يحل لهم أكله لأن أصحاب هذه العاهات لايأكلون كما يأكل الأصحاء كماً وكيفاً والله يقول: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾. كما أن أصحاب العاهات قد تحرجوا أيضاً من مؤاكلة الأصحاء معهم خوفاً أن يكونوا يتقذرونهم فآلمهم ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فرفع الحرج عن الجميع الأصحاء وأصحاب العاهات فقال تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم[1] أو بيوت آبائكم

(١) لم تذكر بيوت الأبناء لأن بيوتهم داخلة في بيوت الآباء للحديث (أنت ومالك لأبيك) والحديث وإن ضعف فما هو إلا شاهد فقط وإلا فمعلوم بالضرورة أن الأولاد عادة وعرفاً يكونون في بيوت آبائهم ولذا لم يذكروا.

أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم، أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه﴾ بوكالة وغيرها، ﴿أو صديقكم﴾[1] وهو من صدقكم المودة وصدقتموه فيها مادام الرضا حاصلاً، وإن لم يحضروا ولا استئذان[2] وإن حضروا.

ورفع تعالى عنهم حرجاً آخر وهو أن منهم من كان يتحرج في الأكل وحده، ويرى أنه لا يأكل إلا مع غيره وقد يوجد من يتحرج أيضاً في الأكل الجماعي خشية أن يؤذي الآكل معه فرفع تعالى ذلك كله بقوله: ﴿وليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً﴾ أي مجتمعين[3] على قطعة واحدة[4] ﴿أو أشتاتاً﴾ أي متفرقين كل يأكل وحده متى بدا له ذلك وهذا كله ناجم عن تقواهم لله تعالى وخوفهم من معاصيه إذ قد حرم عليهم أكل أموالهم بينهم بالباطل في قوله: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.

وقوله تعالى: ﴿فإذا دخلتم[5] بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ فأرشدهم إلى ما يجلب محبتهم وصفاء نفوسهم ويدخل السرور عليهم وهو أن من دخل بيتاً من البيوت بيته كان أو بيت غيره عليه أن يسلم على أهل البيت قائلاً السلام عليكم، وإن كان البيت ما به أحد أو كان مسجداً قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقوله: ﴿تحية من عند الله﴾ إذ هو تعالى الذي أمر بها وأرشد إليها وقوله ﴿مباركة﴾ أي ذات بركة تعود على الجميع وكونها طيبة أن نفوس المُسَلَّم عليهم تطيب بها .

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ أي كذلك البيان الذي بين لكم من الأحكام والآداب يبين الله لكم الآيات الحاملة للشرائع والأحكام رجاء أن تفهموا عن الله تعالى شرائعه وأحكامه فتعملوا بها فتكملوا وتسعدوا عليها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - الإذن العام في الأكل مع ذوي العاهات بلا تحرج من الفريقين.

(١) روي عن ابن عباس أنه قال: الصديق أوكد من القرابة أي: أقوى صلة وقال: ألا ترى استغاثة الجهنميين: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم).

(٢) قال ابن العربي رحمه الله تعالى قولاً حسنا في هذا الحكم قال: أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبذولاً، فإذا كان محرزاً دونهم لم يكن لهم أخذه، ولا يجوز أن يجاوزوا إلى الادخار. ولا إلى ما ليس بمأكول وإن كان غير محرز عنهم إلاّ بإذنهم.

(٣) لا ينبغـــي أن يُفهم من كلمة مجتمعين أنهم رجال أجانب مع نساء أجنبيات بل هم محارم لبعضهم بعضاً.

(٤) هذا يشمل النهد ووليمة العرس وغيرها والنهد هو أن يكون القوم في سفر فيجمعون الطعام من بعضهم بعضاً ويخلطونه ويأكلونه مجتمعين فهو جائز مباح.

(٥) ورد كيفية الدخول إلى المنزل وهو أن يقول: (اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلّم على أهله) (في صحيح مسلم).

٢ ـ الإذن في الأكل من بيوت من ذكر في الآية من الأقارب والأصدقاء.
٣ ـ جواز الأكل الجماعي والإنفرادي بلا تحرج.
٤ ـ مشروعية التحية عند الدخول على البيوت وأن فيها خيراً وفضلاً.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢) لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ (٦٤)

شـرح الكلمـات:

أمر جامع : كخطبة الجمعة ونحوها مما يجب حضوره كاجتماع لأمر هام كحرب ونحوها.

يستأذنوه : أي يطلبوا منه ﷺ الإذن.

لبعض شأنهم : أي لبعض أمورهم الخاصة بهم.

دعاء الرسول : أي نداءه فلا ينادي بيامحمد ولكن بيانبي الله ورسول الله.

كدعاء بعضكم بعضاً : أي كما ينادي بعضكم بعضاً بياعمر وياسعيد مثلاً.

يتسللون منكم لواذاً : أي ينسلون واحداً بعد واحد يستر بعضهم بعضاً حتى يخرجوا خفية.

أن تصيبهم فتنة : أي زيغ في قلوبهم فيكفروا.

قد يعلم ما أنتم عليه : أي من الإيمان والنفـاق، وإرادة الخـير أو إرادة الشر. وقـد هنا للتأكيد عوملت معاملة رب إذ هي للتقليل وتكون للتكثير أحياناً.

معنى الآيات:

يخبر تعالى أن المؤمنين الكاملين في إيمانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وإذا كانوا معه ﷺ في أمر جامع يتطلب حضورهم كالجمعة واجتماعات الحروب، لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﷺ ويأذن لهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿إنما[1] المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾.

وقـولـه تعـالى: ﴿إن الذين يستئذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾ في هذا تعليم للرسول والمؤمنين وتعريض بالمنافقين. فقد أخبر تعالى أن الذين يستأذنون النبي هم المؤمنون بالله ورسوله، ومقابله أن الذين لايستأذنون ويخرجون بدون إذن هم لا يؤمنون بالله ورسوله وهم المنافقون حقاً، وأمر رسول الله إذا استأذنه المؤمنون لبعض شأنهم أن يأذن لمن شاء منهم ممن لا أهمية لحضوره كما أمره أن يستغفر الله لهم لما قد يكون غير عذر شرعي يبيح لهم الاستئذان وطمعهم في المغفرة بقوله إن الله غفور رحيم.

وقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم[2] بعضا﴾ هذا يحتمل أموراً كلها حق الأول أن يحاذر المؤمنون إغضاب رسول الله بمخالفته فإنه إن دعا عليهم هلكوا لأن دعاء الرسول لايرد فليس هو كدعاء غيره، والثاني أن لايدعوا الرسول باسمه يامحمد ويا أحمد بل عليهم أن يقولوا يانبي الله ويارسول الله، والثالث أن لايغلظوا في العبارة بل عليهم أن يلينـوا اللفظ ويرقوا العبارة إكباراً وتعظيماً لرسول الله ﷺ هذا ماتضمنه قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾

وقوله: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً﴾ أعلمهم تعالى أنه يعلم قطعاً أولئك المنافقين الذين يكونون في أمر جامع مع رسول الله ﷺ فيتسللون واحداً بعد آخر بدون أن يستـأذنـوا متـلاوذين في هروبهم من المجلس يستر بعضهم بعضاً، وفي هذا تهديد بالغ

---

(١) إنما: أداة حصر، وهي هنا كذلك، فالمعنى أنه لا يتم ولا يكمل إيمان مَنْ آمن بالله ورسوله إلاّ إذا كان من الرسول سامعا غير معنّت، فلا يناقض للرسول في قول ولا عمل أبداً.

(٢) يريد: لا يصيحوا به من بعيد يا أبا القاسم، بل يعظّموه، شاهده من سورة الحجرات: (إنّ الذين ينادونك من وراءك الحجرات أكثرهم لا يعقلون).

الخطورة لأولئك المنافقين. وقوله: ﴿فليحذر[1] الذين يخالفون عن أمره[2]﴾ أي أمر رسول الله وهـذا عام للمؤمنين والمنافقين وإلى يوم القيامة فليحذروا أن تصيبهم فتنة وهي زيغ في قلوبهم فيموتوا كافرين، أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا والعذاب ألوان وصنوف.

وقوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وعبيداً يتصرف كيف يشاء ويحكم مايريد ألا فَلْيتَّقِ اللهَ عز وجل في رسوله فلا يخالف أمره ولا يعصي في نهيه فإن الله لم يرسل رسولاً إلا ليطاع بإذنه.

وقوله تعالى: ﴿قد يعلم ما انتم عليه﴾ إخبار يحمل التهديد والوعيد أيضاً فما عليه الناس من أقوال ظاهرة وباطنة معلومة لله تعالى، ويوم يرجعون إلى الله بعد موتهم فينبئهم بما عملوا من خير وشر ويجزيهم به الجزاء الأوفى، ﴿والله بكل شيء عليم﴾ فليحذر أن يخالف رسوله أو يعصي وليتق في أمره ونهيه فإن نقمته صعبة وعذابه شديد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - وجوب الاستئذان من إمام المسلمين إذا كان الأمر جامعاً. وللإمام أن يأذن لمن شاء ويترك من يشاء حسب المصلحة العامة.

٢ - وجوب تعظيم رسول الله ﷺ، وحرمة إساءة الأدب معه حياً وميتاً.

٣ - وجوب طاعة رسول الله وحرمة مخالفة أمره ونهيه.

٤ - المتجرىء على الاستهانة بسنة الرسول ﷺ يُخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله.

---

(١) دلت الآية على أنّ الأمر للوجوب، وتوجيهه أنّ الله تعالى قد حذّر من مخالفة أمره وتوعّد بالعقاب عليها بقوله: (أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم).

(٢) قيل: إن (عن) في قوله: (يخالفون عن أمره) زائدة، والتقدير: يخالفون أمره، وقيل: ليست زائدة إذ المعنى: يخالفون بعد أمره فعن بمعنى: عند وهذا كقوله تعالى: (ففسق عن أمر ربّه) أي: بعد أمر ربّه إيّاه بأن يسجد لآدم.

سُورَةُ الفُرْقَانِ
مكية
وآياتها سبع[1] وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣)

شـرح الكلمات:

تبارك	: أي تكاثرت بركته وعمت الخلائق كلها.
الذي نزل الفرقان	: أي الله الذي نزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل.
على عبده	: أي محمد ﷺ.
ليكون للعالمين نذيرا	: أي ليكون محمد ﷺ نذيراً للعالمين من الإنس والجن أي مخوفاً لهم من عقاب الله وعذابه إن كفروا به ولم يعبدوه ويوحدوه.
فقدره تقديرا	: أي سواه تسوية قائمة على أساس لا اعوجاج فيه ولا زيادة ولا نقص عما تقتضيه الحكمة والمصلحة.
ضراً ولا نفعاً	: أي لا دفع ضر ولا جلب نفع.
موتاً ولا حياة ولا نشوراً	: أي لا يقدرون على إماتة أحد ولا إحيائه ولا بعثاً للأموات.

(١) من الجائز أن يكون فيها بعض الآيات مدنياً إلا أن أسلوبها ومحتواها ظاهر في أنه مكيّ وهو الصحيح، وسميت بالفرقان لذكر لفظ الفرقان فيها ثلاث مرات.

معنى الآيات :

يثني الرب تبارك[1] وتعالى على نفسه بأنه عَظُم خيره وعمت بركته المخلوقات كلها الذي نزل الفرقان الكتاب العظيم الذي فرق به بين الحق والباطل والتوحيد والشرك والعدل والظلم أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون[2] للعالمين الإنس والجن نذيراً ينذرهم عواقب الكفر والشرك والظلم والشر والفساد وهي عقاب الله وعذابه في الدنيا والآخرة وقوله: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً وهو ثناء بعد ثناء وقوله: ﴿و لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء[3] فقدره تقديراً﴾ وهو ثناء آخر عظيم أثنى تبارك وتعالى فيه على نفسه بالملك والقدرة والخلق والعلم والحكمة وقوله: ﴿واتخذوا[4] من دونه آلهة﴾ أصناماً ﴿لايخلقون شيئاً وهو يخلقون ولايملكون لأنفسهم﴾ فضلاً عن غيرهم من عابديهم ﴿ضراً ولا نفعاً﴾ أي دفع ضر ولا جلب نفع، ولا يملكون موتاً لأحد ولا حياة لآخر ولا نشوراً[5] للناس يوم القيامة. أليس هذا موضع تعجب واستغراب أمع الله الذي عمت بركته الأكوان وأنزل الفرقان ملك ما في السموات والأرض تنزه عن الولد والشريك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وخلق كل شيء فقدره تقديراً يتخذون من دونه آلهة أصناماً لاتدفع عن نفسها ضراً ولاتجلب لها نفعاً ولا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً فسبحان الله أين يذهب بعقول الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته وهو إفاضة الخير على الخلق والملك والقدرة والعلم والحكمة.

٢ - التنديد بالشرك والمشركين.

---

(١) للفظ تبارك دلالات كلها حق، منها: تقدس، وتعالى، ودام وثبت إنعامه. قال الثعلبي: لا يقال: متبارك ولا مبارك لأنه يوقف في أسمائه تعالى وصفاته على ما ورد عنه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ قال الطِّرِمّاح:

تباركت لا معطٍ لشيء منعته وليس لما أعطيت ياربّ مانع

(٢) (ليكون) أي: من نزل عليه القرآن وهو محمد ﷺ للعالمين نذيراً في الآية دليل على عموم رسالته ﷺ ولم يكن هذا لغيره إلا نوحاً بعد الطوفان، فقد عمّت رسالته الإنس.

(٣) فيه ردّ على المجوس والثنوية القائلين: هناك خالقان خالق للظلمة وخالق للنور أو خالق للخير وخالق للشر، وهو رأي عفن وجهل مظلم.

(٤) في هذه الجملة تعجب من اتخاذ المشركين آلهة دونه تعالى وهي جمادات لا حياة فيها ولا تملك نفعاً ولا ضراً.

(٥) النشور: الإحياء بعد الموت قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميّت الناشر

٣ - تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

افك افتراه : أي ما القرآن إلا كذباً افتراه محمد وليس هو بكلام الله تعالى هكذا قالوا.

ظلماً وزوراً : أي فرد الله عليهم قولهم بقوله فقد جاءوا ظلماً حيث جعلوا الكلام المعجز الهادي إلى الإسعاد والكمال البشري إفكا مختلقاً وزوراً بنسبة ما هو بريء منه إليه.

اكتتبها : أي طلب كتابتها له فكتبت له.

يعلم السر	: أي مايسره أهل السماء والأرض وما يخفونه في نفوسهم.
أو يلقى إليه كنز	: أي من السماء فينفق منه ولا يحتاج معه إلى الضرب في الأسواق.
جنة يأكل منها	: بستان فيه مايغنيه من أنواع الحبوب والثمار.
رجلاً مسحوراً	: مخدوعاً مغلوباً على عقله.
ضربوا لك الأمثال	: أي بالسحر والجنون والشعر والكهانة والكذب وما إلى ذلك
فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً	: فضلوا الطريق الحق وهو أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلا يهتدون.

معنى الآيات:

يخبر تعالى عن أولئك المشركين الحمقى الذين اتخذوا من دون الله رب العالمين آلهة أصناماً لاتضر ولا تنفع أنهم زيادة على سفههم في اتخاذ الأحجار آلهة يعبدونها قالوا في القرآن الكريم والفرقان العظيم ما هو إلا إفك أي كذب اختلقه محمد وأعانه عليه قوم[1] آخرون يعنون اليهود ساعدوه على الإتيان بالقرآن. فقد جاءوا بهذا القول الكذب الممقوت ظلمًا وزوراً ظلمًا لأنهم جعلوا القرآن المعجز الحامل للهدى والنور جعلوه كذبا وجعلوا البريء من الكذب[2] والذي لم يكـذب قط كاذبـاً فكان قولهم فيه زوراً وباطلاً. وقوله تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبهـا فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ هذه الآية نزلت رداً على شيطان قريش النضر بن الحارث إذ كان يأتي الحيرة ويتعلم أخبار ملوك فارس ورستم. وإذا حدث محمد ﷺ قومه محذراً إياهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم فإذا قام ﷺ من المجلس جاء هو فجلس وقـال تعالوا أقص عليكم إني أحسن حديثاً من محمد، ويقول إن ما يقوله محمد هو من أكاذيب القصاص وأساطيرهم التي سطروها في كتبهم فهو يحدث بها وهي تملى عليه أي يمليها عليه غيره صباحاً ومساءاً فرد تعالى هذه الفرية بقوله لرسوله: ﴿قل أنزله[3]﴾ أي القرآن

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: (قوم آخرون) هم: أبو فكيهة مولى بن الحضرمي وعدّاس وجبر، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب.

(٢) هذه الجملة ردّ على من زعم من المشركين أنّ محمداً يتلقى القرآن من أهل الكتاب وذكر السرّ دون الجهر لأنّ من علم السر فهو بالجهر أعلم وأمرٌ آخر: لو كان القرآن مأخوذاً عن أهل الكتاب لما كان فيه زيادة عمّا عندهم في حين أنّ فيه من العلوم والمعارف مالا يخطر حتى على البال ولو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بسورة من مثله.

(٣) الأساطير: جمع أسطورة كأحاديث جمع أحدوثة. وقال بعضهم إنها جمع أسطار كأقوال وأقاويل: (تُملى) أصلها: تُملل فأبدلت اللام الأخيرة ياء من التضعيف.

﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ أي سر مايسره أهل السموات وأهل الأرض فهو علام الغيب المطلع على الضمائر العالم بالسرائر، ولولا أن رحمته سبقت غضبه لأهلك من كفر به وأشرك به سواه ﴿إنه كان غفوراً رحيمًا﴾ يستر زلات من تاب إليه ويرحمه مهما كانت ذنوبه .

وقوله تعالى : ﴿وقالوا : ما لهذا[1] الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا[2] أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ هذه كلمات رؤوساء قريش وزعمائها لما عرضوا على رسول الله ﷺ أن يترك دعوته إلى ربه مقابل ما يشاء من ملك أو مال أو نساء أو جاه فرفض كل ذلك فقالوا له إذاً فخذ لنفسك لماذا وأنت رسول الله تأكل الطعام وتمشي في الأسواق[3] تطلب العيش مثلنا فسل ربك ينزل إليك ملكاً فيكون معك نذيراً أو يلقي إليك بكنز من ذهب وفضة تعيش بهما أغنى الناس ،أو يجعل لك جنة من نخيل وعنب، أو يجعل لك قصوراً من ذهب تتميز بها عن الناس وتمتاز فيعرف قدرك وتسود قومك وقوله تعالى : ﴿وقال الظالمون[4]﴾ أي للمؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً أي انكم باتباعكم محمداً فيما جاء به ويدعو إليه ماتتبعون إلا رجلاً مسحوراً، أي مخدوعاً مغلوباً على عقله لايدري مايقول ولا ما يفعل أي فاتركوه ولا تفارقوا ماعليه آباؤكم وقومكم .وقوله تعالى : ﴿انظر[5] كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أي انظر يارسولنا إلى هؤلاء المشركين المفتونين كيف شبهوا لك الأشباه وضربوا لك الأمثال الباطلة فقالوا فيك مرة هو ساحر، وشاعر وكاهن ومجنون فضاعوا في هذه التخرصات وضلوا طريق الحق فلا يرجى لهم هداية بعد، وذلك لِبُعْدِ ضلالهم فلا يقدرون على الرجوع إلى الحق وهو معنى قوله : ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ .

---

(١) الاستفهام للتعجب، وجملة : (يأكل الطعام) جملة حالية ، وقولهم : (هذا الرسول) من باب المجاراة وإلاّ فهم مكذّبون برسالته .

(٢) لولا : حرف تحضيض استعملت هنا في التعجيز أي : لولا أنزل عليه ملك لاتبعناه وإنهم كاذبون .

(٣) (الأسواق) جمع سوق، وسميت السوق سوقاً لقيام الناس فيها على ساق للبيع والشراء وورد ذكرها في الكتاب والسنة والعمل فيها مباح وكان الرسول ﷺ يأتيها يدعو أهلها إلى الإسلام وورد أنها شرّ البقاع والمساجد خيرها وهي مقابلة، وورد أنه من قال فيها رافعاً بها صوته : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير) كتب له ألف ألف حسنة .

(٤) هذا القائل هو: عبدالله بن الزبعري أيّام جاهلتيه إذ أسلم فيما بعد وحسن إسلامه .

(٥) هذه الجملة تعجبيّة وهي إخبار منه تعالى عن حال المشركين إذ ضلوا في تلفيق المطاعن والبحث عن التهم لدفع الحق وإبطاله فعجزوا وتاهوا في طرق طلبهم ما يبطلون به دعوة الله تعالى .

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان ما قابل به المشركون دعوة التوحيد من جلب كل قول وباطل ليصدوا عن سبيل الله ومازال هذا دأب المشركين إزاء دعوة التوحيد إلى اليوم وإلى يوم القيامة.

٢ - تقرير الوحي الإلهي والنبوة المحمدية.

٣ - بيان حيرة المشركين إزاء دعوة الحق وضربهم الأمثال الواهية الرخيصة للصَّدّ عن سبيل الله، وقد باءت كل محاولاتهم بالفشل والخيبة المرة.

تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾

شـــرح الكلمات:

تبارك	: أي تقدس وكثر خيره وعمت بركته.
خيراً من ذلك	: أي الذي اقترحه المشركون عليك.
ويجعل لك قصوراً	: أي كثيرة لا قصراً واحداً كما قال المشركون.
بل كذبوا بالساعة	: أي لم يكن المانع لهم من الإيمان كونك تأكل الطعام وتمشي في

الأسواق بل تكذيبهم بالبعث والجزاء هوالسبب في ذلك.

تغيظاً وزفيرا : أي صوتاً مزعجاً من تغيظها على أصحابها المشركين بالله الكافرين به.

مقرنين : أي مقرونة أيديهم مع أعناقهم في الأصفاد.

دعوا هنالك ثبوراً : أي نادوا ياثبورنا أي ياهلاكنا إذ الثبور الهلاك.

كانت لهم جزاءً ومصيراً : أي ثواباً على إيمانهم وتقواهم، ومصيراً صاروا إليها لايفارقونها.

وعداً مسؤلا. : أي مطالباً به إذ المؤمنون يطالبون به قائلين ربنا وآتناماوعدتنا والملائكة تقول ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الرد على مقترحات المشركين على رسول الله ﷺ، إذ قالوا لولا أنـزل إليه ملك، أو يلقى إليه كنزٌ وتكون له جنة يأكل منها فقال تعالى: لرسوله ﷺ: ﴿تبارك الذي[1] إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ أي الذي اقترحوه وقالوا خذ لنفسك من ربك بعد أن رفضت طلبهم بترك دعوتك والتخلي عن رسالتك ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من خلال أشجارها وقصورها، ﴿ويجعل[2] لك قصوراً﴾ لا قصراً[3] واحداً كما قالوا، ولكنه لم يشأ ذلك لك من هذه الدار لأنها دار عمل ليست دار جزاء وراحة ونعيم فربك قادر على أن يجعل لك ذلك ولكنه لم يشأه والخير فيما يشاءه فاصبر فإن المشركين لم يكن المانع لهم من الإيمان هو كونك بشراً تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، أو أن الله تعالى لم ينزل إليك ملكاً بل المانع هو تكذيبهم بالساعة فعلة كفرهم وعنادهم هي عدم إيمانهم بالبعث والجزاء فلو آمنوا بالحياة الثانية لطلبوا كل سبب ينجي من عذابها ويحصل نعيمها ﴿بل[4] كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة[5]﴾ أي القيامة ﴿سعيراً﴾ أي ناراً مستعرة أو هي دركة من دركات النار تسمى سعيراً.

---

(١) أي: إن شاء جعل لك خيرا من ذاك الذي اقترحه المشركون عليك وأن معنى لو الشرطية وجواب الشرط محذوف. أي: لجعل ولكن لم يشأ ذلك لأنه غير لائق بمقامك في هذه الدار وهو لك في الآخرة.

(٢) قرىء (ويجعل) بالرفع على الاستئناف، وقراءة الأكثر بالجزم على محل الشرط: إن شاء جعل لك.

(٣) القصر في اللغة: كل بناء رفيع عالٍ حصين. وأما البيت فقد يكون من لبن وطين وقد يكون من شعر.

(٤) بل: هنا للاضراب والانتقال. إضراب على جواب اقتراحهم، وانتقال إلى ذكر علة كفرهم وعنادهم واقتراحهم ما اقترحوه، وهو تكذيبهم بالبعث الآخر، إذ هو سبب عنادهم وكفرهم وفسادهم.

(٥) الساعة: اسم غلب على عالم الخلود. تسمية باسم مبدئه وهو ساعة البعث.

وقوله تعالى: ﴿إذا رأتهم[1] من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ هذا وصف للسعير وهو أنها إذا رأت أهلها من ذوي الشرك والظلم والفساد من مكان بعيد تغيظت عليهم تغيظاً وزفرت زفيراً مزعجاً فيسمعونه فترتعد له فرائصهم. ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾ مشدودة أيديهم إلى أعناقهم بالأصفاد ﴿دَعَوْاهنالك﴾ أي نادوا بأعلى أصواتهم ياثبوراه أي ياهلاكاه أحضر فهذا وقت حضورك : فيقال لهم: خزياً وتبكيتا وتحسيراً: ﴿لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾، فهذا أوآن هلاككم وخزيكم وعذابكم وهنا يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿قل﴾ لأولئك المشركين المكذبين بالبعث والجزاء: ﴿أذلك﴾ أي المذكور من السعير والإلقاء فيها مقرونة الأيدي بالأعناق وهم يصرخون يدعون بالهلاك ﴿خير[2] أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾ أي التي وعد الله تعالى بها عباده الذين اتقوا عذابه بالإيمان به وبرسوله وبطاعة الله ورسوله قطعاً جنة الخلد خير ولا مناسبة بينها وبين السعير، وإنما هو التذكير لا غير وقوله: ﴿كانت لهم﴾ أي جنة الخلد كانت لأهل الإيمان والتقوى ﴿جزاء﴾ أي ثواباً، ﴿ومصيراً﴾ يصيرون إليه لايفارقونه وقوله تعالى: ﴿لهم فيها مايشاءون﴾ أي فيها من أنواع المطاعم والمشارب والملابس والمساكن وقوله: ﴿خالدين﴾. أي فيها لايموتون ولا يخرجون، وقوله: ﴿كان على ربك وعداً مسئولاً﴾ أي تفضل ربك أيها الرسول بها فوعد بها عباده المتقين وعداً يسألونه إياه فينجزه لهم فهم يقولون : ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾، ﴿والملائكة تقول ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ بيان أن مرد كفر الكافرين وظلم الظالمين وفساد المفسدين إلى تكذيبهم بالبعث والجزاء

---

(١) إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم فقد ورد مرفوعا أنّ النبي ﷺ قال: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً. قيل يا رسول الله ولها عينان؟ قال: أما سمعتم الله عز وجل يقول: إذا رأتهم من كان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول: وكلت بكل من جعل مع الله إلها آخر. الحديث صححه ابن العربي في القبس .

(٢) إن قيل: كيف قال: (أذلك خير) ولا خير في النار؟ قيل: هذا من باب قول العرب: الشقاء أحبّ إليك أم السعادة؟ وقد علم أنّ السعادة أحب إليه. قال حسان:

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

وقطعاً الرسول ﷺ لا شرّ فيه البتة.

في الدار الآخرة فإن من آمن بالبعث الآخر سارع إلى الطاعة والاستقامة.
٢ ـ تقرير عقيدة البعث الآخر بوصف بعض ما يتم فيه من الجزاء بالنار والجنة.
٣ ـ فضل التقوى وأنها ملاك الأمر فمن آمن واتقى فقد استوجب الدرجات العلى جعلنا الله تعالى من أهل التقوى والدرجات العلى.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

يحشرهم	: أي يجمعهم
ومايعبدون من دون الله	: من الملائكة والأنبياء والأولياء والجن
أم هم ضلوا السبيل	: أي طريق الحق بأنفسهم بدون دعوتكم إياهم إلى ذلك.
سبحانك	: أي تنزيهاً لك عما لا يليق بجلالك وكمالك.
ولكن متعتهم	: أي بأن أطلت أعمارهم ووسعت عليهم أرزاقهم.
وكانوا قوماً بوراً	: أي هلكى، إذ البوار الهلاك.
ومن يظلم منكم	: أي ومن يشرك منكم أيها الناس.

وجعلنا بعضكم لبعض فتنة : أي بليّة فالغني مبتلًى بالفقير، والصحيح بالمريض، والشريف بالوضيع فالفقير يقول ما لي لا أكون كالغني والمريض يقول مالي لا أكون كالصحيح ، والوضيع يقول ما لي لا أكون كالشريف مثلاً .

أتصبرون : أي اصبروا على ما تسمعون مِمَّن ابتليتم بهم ، إذ الاستفهام للأمر هنا .

وكان ربك بصيراً : أي بمن يصبر وبمن يجزع ولا يصبر .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر لها في القيامة إذ إنكار هذه العقيدة هو سبب كل شر وفساد في الأرض فقوله تعالى : ﴿ويوم يحشرهم[1] ومايعبدون من دون الله﴾ أي اذكر يارسولنا يوم يحشر الله المشركين وماكانوا يعبدونهم من دوننا كالملائكة والمسيح والأولياء والجن . ﴿فيقول﴾ لمن كانوا يعبدونهم ﴿أنتم[2] أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل؟﴾ أي ما أضللتموهم ولكنهم ضلوا طريق الحق بأنفسهم فلم يهتدوا إلى عبادتي وحدي دون سواي . فيقول المعبودون ﴿سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك وتقديساً عن كل ما لايليق بجلالك وكمالك ﴿ماكان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾[3] اي لايصح منا اتخاذ أولياء من دونك فندعو عبادك إلى عبادتهم فنضلهم بذلك، ﴿ولكن متعتهم﴾ ياربنا ﴿وآباءهم﴾ من قبلهم بطول الأعمار وسعة الأرزاق فانغمسوا في الشهوات والملاذ ﴿حتى نسوا الذكر﴾[4] أي نسوا ذكرك وعبادتك وما جاءتهم به رسلك فكانوا بذلك قوماً بوراً أي هلكى خاسرين .

وقوله تعالى : ﴿فقد[5] كذبوكم بما تقولون[6]﴾ يقول تعالى للمشركين فقد كذبكم من كنتم

---

(١) قرأ الجمهور : (نحشرهم) بالنون للعظمة ، و(يقول) بالياء وهو التفات من التكلم إلى الغيبة حسن . وقرأ حفص وغيره بالياء في (يحشرهم) و(يقول) معاً وقرأ بعضٌ بالنون فيهما معاً .

(٢) الاستفهام تقريري للاستنطاق والاستشهاد .

(٣) الأولياء جمع ولي بمعنى التابع فإن الولي يرادف المولى فيصدق على كلا طرفي الولاء أي : على السيد والعبد ، والناصر والمنصور والمراد هنا من الولي : التابع .

(٤) قيل : الذكر : القرآن، وقيل : الشكر على الإحسان ، وما في التفسير أشمل .

(٥) الفاء الفصيحة إذْ أفصحت على جواب شرط محذوف تقديره :

إن قلتم هؤلاء آلهتنا فقد كذبوكم بما تقولون ، وقد جاء التصريح بما يدل على القول المحذوف في قول عباس بن الأحنف .

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(٦) قرأ الجمهور بالباء وقرأ حفص بالتاء : (تقولون) .

تشركون به، فقامت الحجة عليكم فأنتم الآن لاتستطيعون صرفاً للعذاب عنكم ولا نصراً أي ولا تجدون من ينصركم فيمنع العذاب عنكم.

وقوله تعالى: ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيراً﴾ هذا خطاب عام لسائر الناس يقول تعالى للناس ومن يشرك منكم بي أي يعبد غيري نذقه أي يوم القيامة عذاباً كبيراً وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أي يارسولنا ﴿من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق[1]﴾ إذاً فلا تهتم بقول المشركين ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ ولا تحفل به فإنهم يعرفون ذلك ولكنهم يكابرون ويجاحدون.

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾[2] أي هذه سنتنا في خلقنا نبتلي بعضهم ببعض فنبتلي المؤمن بالكافر والغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع، وننظر من يصبر ومن يجزع ونجزي الصابرين بما يستحقون والجزعين كذلك.

وقوله تعالى: ﴿أتصبرون﴾ هذا الاستفهام معناه الأمر أي اصبروا إذاً ولا تجزعوا أيها المؤمنون من أذى المشركين والكافرين لكم. وقوله تعالى: ﴿وكان ربك بصيرا﴾ أي وكان ربك أيها الرسول بصيراً بمن يصبر وبمن يجزع فاصبر ولا تجزع فإنها دار الفتنة والامتحان وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ - ياهول الموقف إذا سئل المعبودون عمن عبدوهم، والمظلومون عمن ظلموهم.

٣ - براءة الملائكة والأنبياء والأولياء من عبادة من عبدوهم.

٤ - خطورة طول العمر وسعة الرزق إذ غالباً ما ينسى العبد بهما ربه ولقاءه.

٥ - تقرير أن الدنيا دار ابتلاء فعلى أولى الحزم أن يعرفوا هذا ويخلصوا منها بالصبر والتحمل في ذات الله حتى يخرجوا منها ولو كفافاً لا لهم ولا عليهم.

---

(١) أخرج مسلم قوله ﷺ: (أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها).

(٢) هذه الجملة تذييلية الغرض منها التسلية للرسول ﷺ والمؤمنين من أجل ما يلاقون من عناد المشركين وأذاهم. والاستفهام في: (أتصبرون) معناه الحث على الصبر والأمر به نحو قوله: (فهل أنتم منتهون). أي: عما حرّم من الخمر والميسر.